العنوان: مجلة العرب
دار اليمامة للبحث والترجمة والنشر
شارع الملك فيصل. هاتف: (٢٤٢ العمر)
الرياض: المملكة العربية السعودية



الإشتراك السنوي
١٨ ريالا للأفراد، ٢٥ ريالا للهيئات.
الرسمية والشركات عدا أجرة البريد
الإعلانات: يتفق بشأنها مع الادارة
ثمن الجزء: ريالان عربيان

مجلة شهرية جامعة

صاحبها ورئيس تحريرها: حمد الجاسر

الجزء الحادي عشر — السنة الثالثة — جمادى الاولى ١٣٨٩ — آب (أغسطس) ١٩٦٩

# ملكيات الأراضي في الحجاز في القرن الأول الهجري

إن دراسة ملكيات الأراضي ذات علاقة وثقى بالتطورات الاجتماعية والإقتصادية التي حدثت على أثر نشوء الدولة الاسلامية ، ولا تتضح معالم هذه الدراسة ما لم تدرس كافة النواحي الأخرى النقدية والمالية والاقتصادية والسكانية والفنية والادارية ، غير أنها في نفس الوقت لم تلقَ اهتماماً كافياً ، رغم أهميتها في فهم الأحوال والتطورات التي حدثت على أثر ظهور الإسلام.

ولا ريب أن الشرق الأوسط — وخاصة جزيرة العرب — كانت تقيم فيها عدة مجتمعات لكل منها ظروفها الجغرافية ، وتقاليدها الاجتماعية والقانونية ، ورغم ان الدين في الدوله الاسلامية عمل على توحيد الدولة إلا ان الأحوال والظروف المحلية لم يَزُلْ اثرها تماماً ، وبقيت ذات مفعول أمداً من الزمن .

وللحجاز أهمية خاصة ، ففيه ظهر النبي ﷺ وعاش ومارس سلطاته وادارته في معظم سني الدعوة ، ولما تكونت الدولة الاسلامية كان الحجاز العماد الأكبر في الفتوح، وظل مركز الخلافة في عهد الخلفاء الثلاثة الأول ، فكانت تجبى اليه خمس واردات الأقاليم فضلاً عن ان رجاله كان منهم معظم القواد والاداريين والمستثمرين ، الأمر الذي أدى الى انصباب الثروة اليه ، ومجيء عدد هائل من الأيدي العاملة اليه ، وقد ظلت للحجاز مكانته حتى في

أوائل العهد الأموي نظراً لأهميته القديمة في نشوء الاسلام ولاعتماد الأمويين على كثير من الأسر الحجازية في إدارتهم خاصة وانهم ذاتهم حجازيون ، والواقع أنهم طالما كانوا يغدقون العطايا على أهل الحجاز بمختلف الوسائل . هذا فضلاً عن ان التطورات الاقتصادية التي حدثت في الحجاز كانت اوسع منها في الأماكن الأخرى فهي لذلك تكوّن ميداناً اوضح لهذا التطورات .

غير انه لا بد من الاعتراف بأن الحجاز غير واضح الحدود ، وقد اختلف الأقدمون في تعريفه وتحديده أما انا فسأقصر بحثي هذا على المناخ الممتد من اطراف خليج العقبة شمالاً إلى منطقة الطائف جنوباً والى البحر الأحمر غرباً ، أما شرقاً فسأدخل اطراف المدينة وسأخرج منطقة ضريّة والرّبذة ، والواقع ان هذين الحمائين كانا من نجد ويفصلهما عن الحجاز صحراء غير زراعية .

لقد بحث كثير من العلماء والمستشرقين الأحوال الاجتماعية والاقتصادية في الاسلام ، ولكن معظم هذه الأبحاث كانت عامة أو مقصورة على الأقاليم المفتوحة كالعراق ومصر اما الحجاز فلا اعلم من تطرق لبحثه غير ( لامنس ) الذي أشار في دراسته للطائف الى الحياة الاقتصادية وفي كتابه «مهد الاسلام» الى احوال الحجاز وتطوراته غير ان بحوثه رغم غزارة مادتها تمثل نتفا غير متماسكة ، ولعل ذلك لأسلوب تفكيره أو لأن المشاكل التي درسها هي غير هذه المشكلة .

إن إهمال هذا الموضوع رغم اهميته يرجع فيما اعتقد الى ان معظم الباحثين يميلون الى استخدام بعض مصادر تقليدية ، تقدم مادة معينة وتعالج مشاكل معينة ، مما يجعل بحوثهم مختلفة في مدى نقدها أو تحليلها لهذه المادة ، بينما كانوا إذا ارادوا معالجة هذه النواحي لا يجدون عنها مادة في المصادر التقليدية بل يجب ان يفتشوا عنها في مصادر اخرى ، وخاصة في كتب الجغرافية والفقه ، وهي التي أهملت رغم ما فيها من مادة قيمة او ان يتصيدوا الاخبار الاقتصادية والاجتماعية المبعثرة في كتب التاريخ والتراجم وهو عمل مضن فيه كثير من المصايد .

ثم إن لغة ذلك العصر تختلف الى حد ما عن غيرها فكل مجتمع كان يستعمل في فترة معينة تعابير فنية خاصة به قد يزول استعمالها فيما بعد او تختلط بغيرها ويتطور معناها بحيث تصعب معرفة معناها الاصلي الا للمتمرس فتعبير الحائط والمخابرة والمزابنة والعثري والبعل كلها أصبحت عتيقة لا يعرفها من يدرس لغة القرن الرابع . كما ان كثيراً من التعابير غير دقيقة .

ولا ننسى أن المؤسسات الأقتصادية كانت آنذاك في دور تطور ولم تتخذ قالبها الذي نعرفه في العصور المتأخرة .

فعند ما يقال مثلاً : ان علياً كان يمتلك ( يَنْبُعَ ) فنحن نفترض انه كان يمتلك الأراضي الزراعية فيها غير ان هذا لا يبين بالضبط الأراضي الزراعية او اهميتها الزراعية او الملكيات الأخرى بجانبها أو مدى سعة ما كان يزرع ، لا شك انه كانت في الحجاز عند ظهور الاسلام مناطق زراعية وإن كان اوضح معلوماتنا عن الواحات التي يقطنها اليهود في خَيْبَرَ وفَدَك ووادي القرى وكذلك عن المدينة ، أما بقية المناطق فمعلوماتنا عنها تأتي مما بعد الاسلام ولا تمكننا المصادر من ان نحدد بالضبط مدى العلاقة بين أحوال هذه المناطق قبل الاسلام ، وبعده . لذلك سنركز بحثنا على الأحوال منذ ظهور الاسلام فما بعد ، مع ملاحظة أن معظم الأخبار التي تقدمها المصادر تتعلق بالملكيات التي حدثت بعد الاسلام ، اما الملكيات التي كانت قائمة قبله فإن المصادر تبقى شحيحة بها ، وجدير بالملاحظة ان فكرة الملكية في المناطق الصحراوية غير واضحة ولا دقيقة كما هي في المناطق الزراعية والمناجم . كما أن مصادرنا ايضاً تقدم مادة وافية عن أحوال القرن الأول والثاني فقط . أما التطورات التي حدثت في القرون التالية فالمعلومات عنها نزرة قليلة .

غير ان أحوال المدينة كانت تختلف عن هذا ، فان هجرة الرسول (ص) اليها واتخاذه لها مقراً طوال حياته بعد الهجرة واعتماده على أهلها الذين كان لهم اتصال وثيق بالاسلام ، وادارة الرسول ، ساعد على تقديم مادة غير قليلة عن أحوالها .

ومن المعروف ان المدينة منطقة زراعية مأهولة ، وقد ذكر لنا عـدد من مزارعهم واغلبها على الوديان الكبرى وخاصة مهزور ومُذَينِب وقناة ، أي في جنوبها الغربي عند ُقباء ، وحَرّة زهرة ، وفي شمالها الشرقي عنـد تـَمَغ ويَثرِب . اما العقيق فلم يبدأ إعماره الا منذ عهد عمر . ولما كانت هـذه الأراضي زراعية فلا بدّ أن تكون مؤسسة الملكية فيهـا أقوى واكثر تثبتاً للأفراد .

ولا تذكر المصادر تفاصيل شاملة عن هذه الملكيات بل تقتصر على ما له علاقة ببعض الحوادث المعينة إلا أن هذه المادة القليلة كافية لإقناعنا بأن الملكية كانت فردية ، وانها لم تكن متساوية وان حق الوراثة مثبت ، امـا العمال فالراجح ان صاحب الأرض كان يعمل أرضه إن كانت صغيرة ، أما إن كانت ملكيته كبيرة فهو يستخدم فلاحين، وان كانت العلاقة بينهما غير واضحـة ، وربما كانت معقدة منوعة انعكست في الأحكام الفقهية .

ومع هذا فلم تكن المدينة تامة الاستثمار بـل كان فيها كثير من الأراضي غير المزروعة فضلاً عن قلة السكان .

ولما هاجر الرسول (ص) الى المدينة لم يحـاول قلب المؤسسات الاقتصادية والمالية التي كانت قائمة فيها أو ان يمس أمـلاك العرب والمسلمين فيها ، خاصة وانه قد نشأ ونما في المجتمع التجاري المكي القائم على الملكية الفردية، ثم ان مجيئه لم يحدث في بداية الأمر أزمة في الأراضي نظراً لقلة عدد المهاجرين الذين جاؤوا معه ولكثرة الاراضي غير المزروعة .

غير ان مجيئه الى المدينة أدى الى خلق احوال وظروف كان شأنها أن تؤثر في أحوال الملكيات الكبيرة فمن ذلك اقصاؤه بني النَّضير ، ومحقـه قرَيظة واخضاعه َخيبَر ووادي القُرى وفدَك، وقد اوردت في مقال نشرته مجلة « كلية الآداب والعلوم» ببغداد سنة ١٦٥٨ تفاصيل ما فعـله في أراضي هذه العشائر والمناطق لذا أكتفي بأن الخص ما قام به .

لقد اعتُبرَت اراضي بني النضير َفيئـاً – وهو تعبير غير محدد في أصـله

ومعناه ولكنه حتماً – يستلزم ان تكون هذه الغنيمة بيد الرسول (ص) يتصرف بها كما يشاء دون اتباع الطرق التقليدية ، والواقع انه خص المهاجرين دون غيرهم بتوزيعها ما عدا سَهل بن حُنيف وسماك الأنصاريين. وقد ذكرت عرضاً اسماء من نال من المهاجرين اراضي منهـا وهم ابو بكر ، وقد اعطـاه الرسول بئر حجر، وعمر بن الخطاب وقد اعطى بئر جرم ، وصُهيب بن سنان وقد اعطى الضراطة ، وعبد الرحمن بن عوف وقد اعطى سواله وكيدمة التي باعها فيما بعد لعثمان بأربعين ألف دينار ، وابو سلمة بن عبد الأسد وقد أعطى البُوَيرة .

ويبدو من هذه النصوص ان الرسول (ص) وزع عليهم اراضي لا محاصيل، غير اننا لا نعلم فيما اذا كان قد وزع على آخرين لم تذكر لنا المصادر اسماءهم ، ولا فيما اذا كان التوزيع بالتساوي، اي ان كل فرد نال نفس المقدار الذي ناله غيره، كما اننا لا نعلم لماذا اختار هؤلاء بالذات، ان كانوا وحدهم الذين خصوا بالتوزيع. ولعل تخصيصهم دون غيرهم يرجع اما الى تلبية طلباتهم أو رغباتهم الشخصية أو إلى ظروف خاصة بهم أو الى اعمالهم وخدماتهم في هذه الفترة المبكرة . ولا شك أن اراضي بني النضير خصبة واسعة ، ولكننا لا نعلم فيما اذا كانت الأراضي الموزعـة تشمل كافة اراضي بني النضير أم انها جزء منها وان كانت الاخيرة فماذا حل ببقية الأراضي ؟ ولا من كان يزرعها ويعمل فيها . ولا حصة الرسول (ص) منها ؟ وان كنا نرجح ان صدقات الرسول السبع هي منها لأن هذه الصدقات تقع في طرف بني النضير .

اما أراضي بني قريظة فانها عندما وزعت كانت أحكام الخمس والتوزيـع قد فرضت فالمفروض ان الرسول ( ص ) اخذ خمسها ووزع الباقي على المسلمين بالتساوي، شأن غنائم الأموال المنقولة، غير ان حصة الرسول (ص) لم تذكر، كما اننا لا نعلم عدد من قسمت عليهم غنيمة بني قريظة ، وهـل كان التقسيم للأراضي ام المحصول ، وعلى كل حـال فلم تذكر المصادر التي بين يدى اي شخص امتلك من اراضي بني قريظة او اية ملكية او اية مشكلة او اية مزرعة ولا العمال الذين اخذوا يعملون في هذه الأراضي مكان السبعمائة يهودي وكيفية

ادارتهم واحكام عملهم . وان السكوت التام للمصادر يحملني على الاعتقاد بان الرسول (ص) كان يوزع المحاصيل دون الأراضي فكان نصيب المسلمين من الحاصل واما امر الملكية فلم يمس فضلا عن انه فيما يبدو كانت اهميته آنذاك غير كبيرة .

أما خَيْبَر فلنا عن أحوالها معلومات أوفى ، فلدينا روايتان إحداهما تنص ان الرسول (ص) استصفى نصفها وخمس النصف الثاني، ثم وزع الباقي على المسلمين ، وتقول الرواية الثانية انه خمسها ووزع الباقي . ومهما يكن فالملاحظ أن أسماء من روي لهم نصيب من خيبر نجد أن نصيبهم غير متساوٍ ، بل هو متباين ، والمهم ان المصادر تروي النصيب بالمحصول وتصفه بأنه طعمة أي انها تذكر أن الرسول (ص) أطعم فلاناً كذا وسقاً من شعير أو تمر من خيبر، فهي لا تذكر الأرض بل تذكر المحصول ، كما انها تعتبر ذلك طعمة ، غير اننا لا نعلم هل استمرت هذه الطعمة إلى الأبد ثابتة ، وهل كانت تورث ؟ أم انها لم تتبع قاعدة مضطردة ؟ ان لدينا خبراً واحداً عن أرض لعمر في خيبر أوقفها، وما عدا ذلك لم يرد في المصادر أي ذكر لمسلم امتلك من أرض خيبر ، كما ان المصادر لم تشر الى أية مشكلة أو قضية أثارتها هذه الاراضي الغنية بين المسلمين، والتي كانت تنتج أربعين الف وسق . ان هذا يحملنا على الاعتقاد بأن أراضي خيبر كَقُرَيْظَة لم توزع على المسلمين بل كان الحاصل هو الذي يوزع ، وانها لذلك لم تكن عاملاً في نشوء الملكيات الفردية بين المسلمين ، شأن أراضي النضير .

لقد روت المصادر عدداً غير قليل من الإقطاعات التي أقطعها الرسول (ض) في داخل المدينة وفي الحجاز وبقية أنحاء الجزيرة ، ولا شك أنه أقطع في المدينة كثيراً من الأراضي لاتخاذها بيوتاً للسكنى أو لزراعتها ، وأغلبها من الاراضي البُور ، التي لم يكن لها مالك أو لم تكن لها أهمية ، فلم تثر هذه الاقطاعات مشاكل كثيرة نظراً لعدم أهمية الاراضي آنذاك ، ولأن معظم الاراضي الممنوحة كانت بوراً ، وأكثرها إما من أراضي اليهود أو في المناطق الغربية التي كانت بوراً آنذاك . ونرجح ان هذه الاقطاعات أقطعت بناءً على طلب

المُقْطَعِين ، وان الرسول لم يردّ طلبهم ، ولم يُعِرْ قضية الملكية أهمية كبرى ولم يقدّر نتائج هذه المِنَح ، خاصة وأن الاراضي التي أقطعها كانت بوراً .

اما في خارج المدينة فلدينا قائمة طويلة من الاقطاعات التي منحها الرسول لعدد غير قليل من الأفراد جمعها الاستاذ حميد الله خان في كتابه عن «الوثائق السياسية» ومن سوء الحظ ان المصادر لا تقدم لنا اخباراً عن الأراضي المقطعة وأهميتها وملكيتها السابقة وعلاقة المقطع بالملاكين او المتصرفين السابقين ، بل واحياناً لا تذكر مساحتها ومع اعترافنا باحتمال تزوير بعض هذه الوثائق المتعلقة بالاقطاعات إلا أنها ليست كلها مزورة ، والراجح أن اغلب هذه الأراضي اقطعها الرسول بناء على طلب المُقطَع دون ان يعير شكل الملكية القانوني أهمية كبرى ، او يجري دراسة دقيقة لكل منها ، والراجح انها لم تكن من الاراضي الزراعية لذا لم تثر كبير اهتمام ، اللهم إلا يَنبُع التي باعها مُقطَعها بثلاثين الف درهم ، والعقيق الذي بدأت اهميته تظهر منذ عهد عمر مما حمله على اشتراط الاستثمار في الإقطاع .

لا شك ان اقطاع الرسول قائم على فكرة الملكية الفردية وهو من عوامل تكوين الملكيات الفردية حتى بعد عهد عمر الذي اشترط الاستثمار في الإقطاع .

ولا شك ان تطورات خطيرة حدثت في الحجاز إبّان القرن الأول الهجري فقد رافق الفتح الإسلامي وتبعه هجرة عدد كبير من افراد بعض العشائر الى البلاد التي فتحها المسلمون كما قدم عدد غير قليل من الأعاجم كأسرى حرب وإن كان عدد القادمين لا يساوي عدد المهاجرين ، كما ان ازدياد عدد المهاجرين من الحجاز لا يكفي للتعويض عن خسارة هجرة السكان لأن هؤلاء لم يكونوا ليقيموا أمداً طويلاً .

غير أنه يقابل نقص السكان ارتفاع مستوى المعيشة وازدياد الثروة بمقدار هائل ، وخاصة في المدن ، وهذا يؤدي الى زيادة الطلب على بعض المواد شبه الكمالية كالخُضَرِ والفواكه والألبسة والعطور المعتمدة على المُنتَجات الزراعية .

ولا ريب ان المستوردات الأجنبية زادت فالدولة كانت تستورد القمح من مصر خاصة وتضعه في ميناء (الجار) لتوزعه على المسجلين في ديوان العطاء ، وأغلبيتهم المطلقة من أهل المدينة . والراجح ان بعض هذه الأرزاق كان أصحابها لا يستهلكوها بل يبيعوها لمن ليسوا في الرزق ، ومن المحتمل ان الحجاز كان يستورد القمح أيضاً من الشام واليمامة وسنعرض لذلك في مقال مستقبل .

وازدياد الطلب على المُنتَجات الزراعية كان دافعاً لتحسين الزراعة القديمة وأساليبها أو ادخال مزروعات جديدة ، ففي اخبار القرن الرابع مثلاً نجد ذكراً لعدد غير قليل من مزارع الموز والرمان والخوخ في مناطق من الحجاز كما ان في « مدَوّنة مالك » قائمة طويلة من المنتجات الزراعية من أنواع الحبوب والخضر والدهنيات والزيوت والعطور والفواكه ، ولا شك أن أغلبها كان في الحجاز حيث عاش هذا الفقيه ، ومن الراجح ، أن كثيراً من هذه المنتجات الكمالية ادخلت في الحجاز في هذا القرن الذي وصل فيه أوج الرخاء .

ومن المحتمل أن بعض التحسين في أساليب الزراعة ومنتجاتها قد جاء عن طريق الأسرى الذين تقاطروا إلى الحجاز ، واستخدم عدد غير قليل منهم في الزراعة ، ولدينا عن ذلك بعض الإشارات منها عين يحنّس انبطها لعلي أعجمي اسمه يُحنّس ، ولعله تحريف من جوهانيس وعين أبي نيْزَر حفرها أعجمي يقال إنه من الاحباش وخليج بنات نائلة استخدم فيه ثلاثة آلاف من سبي الأعاجم ، ولا ننسى أن وكيل معاوية على الصوافي بالمدينة هو ابن مينا ، وواضح من اسمه انه أعجمي ، وربما من سورية ، ولعل هذه الأسماء بعض العدد الذي كان يستخدم في الري والزراعة من الأعاجم ، واستخدامهم يرافقه إدخال خبراتهم وأساليبهم الزراعية التي تختلف عن أساليب أهل الحجاز ، وهي بالتأكيد أرقى منها . إننا لا نزعم أن العمال الأعاجم الذين نقلوا خبراتهم ومهاراتهم لم يكونوا الوحيدين بل لا بد انه استخدم معهم بعض العرب من أهل الحجاز ، وان كنا لا نعرفهم ، أما تنظيم العمل والعلاقة بين

العمال وأصحاب الأرض فهو موضوع سنعالجه في بحث خاص ، وفي كتب الفقه والحديث واللغة مادة غير قليلة عنه تحتاج إلى معالجة ودراسة ، وان كنا نرجح أن الملاكين الصغار كانوا يعملون في أرضهم بانفسهم ، أما إذا كانت الملكية كبيرة فلا بد أن يستخدم الملاك فلاحين ، إما يعملون بالأجرة أو الأرجح بالمؤاجرة والمزارعة والمزابنة والمساقاة، أي بأخذ حصة من المحصول، يختلف مقدارها بين الخمس والنصف ، ولا بد أن يخصص للفلاحين بعض الأرض لرعي المواشي وللاحتطاب ، غير أن فريقاً منهم كان من القن" أي أنه يبقى العامل مرتبطاً بالأرض وتنتقل علاقته إلى كل من يشتري هذه الأرض وإن" كثرة اشارات « المدونة » و « الموطا » وهما مؤلفا أهل المدينة لدليل على مدى أهميتها .

ولا ريب أن العوامل الطبيعية لا تمنع الحجاز من تكوين المزارع ، صحيح أن أمطاره الشتوية أقل من أن تكفي للزراعة غير أنه تتوفر فيه المياه الباطنية التي إذا عولجت تكفي لزراعة مناطق غير قليلة . ولا شك ان هذه المياه تتوفر بجوانب الوديان وفيها وعلى أطراف الحرّات والجبال ، هذا فضلاً عن بعض الوديان التي فيها مياه دائمة بشكل مجاري أو غدران. والواقع ان معظم مزارع المدينة كانت تعتمد في البداية على الوديان والآبار ، ثم صارت تعتمد منذ عهد عثمان تدريجياً على العيون ، وخاصة في شماليها وشرقيها . أما في خارج المدينة فأغلب ما روي لنا من المزارع انها كانت قائمة على العيون . وإذا كانت تعابير الرواة دقيقة فيبدو ان المقصود بالعين هي البئر (الارتوازية) وهي بدورها تعتمد فيما يبدو على المياه الباطنية . غير ان الري لا يتطلب لا حفر الآبار والعيون فحسب ،بل عمل السدود والفقائر والكهاريز والقنوات أيضاً . ولدينا أخبار عن السد الذي أنشأه عثمان على مُذَيْنيب ليقي المسجد الجامع من الغرق ، وأدّى بدوره الى إحياء أراضي زراعية في طريق قُبَاء ، وسدّ أنشأه عبد الله بن الزبير في جنوب المدينة ، هذا عدا عدد غير قليل من الضفائر التي أنشئت على المزارع التي تُرْوَى من العقيق . أما القُنِيُّ فهي كثيرة ، وأما الكهاريز فلدينا عنها ذكر ما عمله معاوية في شمال المدينة في عينين عند أُحُدٍ .

غير انه لا بد أن نذكر أن من عوامل تحديد الزراعة الأمراض المتوطنة وخاصة ( الملاريا ) و ( البلهارزيا ) التي لدينا عنها ، وخـــاصة ( الملاريا ) اشارات غير قليلة لها ، بل إن ... ... ... لامه الناس لإحيائه أرضـــاً موبوءة بالملاريا لأن هذا أدى إلى إرهاق صحته .

إن إمكانية إحياء الأراضي واستثمارها أدّى الى زيادة إقبال الناس على شرائها والمضاربة فيها ، وهذا أدّى الى ارتفاع أسعارها . ولدينا معلومات غير قليلة عن أسعار البيوت في المدينة التي كان بعضها تبلغ قيمته آلاف الدنانـــير ، وخـــاصة تلك التي كانت قرب مسجد رسول الله ﷺ حيث كان يستوطن الأغنياء من المهاجرين . وقد امتد هذا الارتفاع الى الأراضي الزراعيـــة التي وصلت أسعار بعضها إلى مبالغ هائلة .

توجد عن الملكيات وأحوالها إشارات مبعثرة في كتب الفقه والتراجم والأدب ، غير ان ابرز المؤرخين الذين اهتموا في هذا الباب هم ابن زبالة والزبير ابن بكّار وابن شبّة ، وأبي عبد الله الأسدي ، وعَرّام بن الاصبغ . أما كتاب عرّام فكنا نعتمد فيه على ما رواه ياقوت والسمهودي الى أن طبـــع حديثاً ثلاث طبعات ، وهو يقدّم وَصْفاً جغرافياً مفصلاً للمنطقة التي نحن بصدد دراستها مهتماً بالتضاريس الأرضيـــة والمياه والحـــاصلات والسكان والملكيات ، ويكاد يكون هو وابن زبالة الوحيدين اللذين يبينان أملاك العامة والناس ، رغم انه مؤلف في القرن الثالث الهجري .

أما محمد بن الحسن بن زبالة فهو أقدم مؤرخي خطط المدينة ، وقد وصلتنا مقتطفات من كتابه نقلها ابن النجار والسمهودي [١] الذي يقتطف منه بكثرة ، وهو يصف طوبوغرافية محلاة الانصار واليهود من أهل المدينـــة مع كثير من الاشارات الى الآبار والمزارع والملكيات .

اما ابن شبّة فهو من أواخر القرن الثاني وقـــد ألّف كتاباً عن أخبار

---

(١) والفيروز آبادي في «المعالم» .

المدينة يبدو مما نقله السمهودي عنه انـــه يهتم بالمهاجرين والحجازيين الذين استوطنوا المدينة مع اشارات غير قليلة الى أسعار هذه الأراضي والبيوت وقد ألـّف ابن شبّة أيضاً كتاباً في الصدقات ذكر فيه كثيراً من أملاك علي وأسرته مع تفاصيل عن هذه الأملاك وتطوراتها .

اما ابو عبدالله محمد بن احمد الاسدي فقد ألـّف في وصف الطريق بين مكة والمدينة وهو يقدم فيه معلومات قيّمـــة عن الأملاك الواقعة على تلك الطريق[1] .

إن هذه المؤلفات لم يبق منها إلا ما نقله عنها المتأخرون وخاصة السمهودي الذي رغم كثرة نقله لا يمكن الجزم بأنه قد استوعب في كتابه كافة معلوماتهم.

أما الزبير بن بكار فان كتابه في نسب قريش طبع مؤخراً بعضه وفيه معلومات غير قليلة عن املاك الزبيريين .

لا يمكن القول بأن المعلومات التي لدينا عن الملكيات الكبيرة شاملـــة، فأغلبها تتركز حول ملكيات المقيمين في المدينة، وخاصة بعض الأسر المعينة، ومن سوء الحظ ليست لدينا معلومات غيرها، بل الغريب اننا لا نجد اشارات الى هذه الملكيات بعد القرن الثاني ولا نعلم فيما اذا كان ذلك راجعاً الى اغفال المؤرخين لذكرها أم لتبدل الاحوال الاقتصادية التي أدت الى زوال الملكيات الاقتصادية . والواقع ان الأزمات الاقتصادية يرد ذكرها منذ أوائل القرن الثاني ففي زمن هشام بن عبد الملك حدثت أزمة اقتصـــادية عنيفة أدت الى تدهور الحياة الاقتصادية والى هجرة بعض السكان .

واكبر الاسر التي اهتم افرادها بامتلاك الأراضي الزراعية واحياءهـــا كما تقدمه المصادر التي اعتمدت عليهـــا هم علي والزبير وأولادهما ، وطلحة، وعبد الرحمن بن عوف .

---

(١) نجد تلك المعلومات كلها في كتاب طبع حديثاً باسم «كتاب المناسك ومنازل طرق الحج»

## املاك علي بن أبي طالب :

فأما علي بن أبي طالب فأهم أملاكه ينبع حتى أن البكري يقول : ينبع وادي علي بن أبي طالب (بكري ١٣١٠) ويقول الشافعي: ولم يزل علي بن أبي طالب ( رض ) يلي صدقته بينبع حتى لقى الله عزّ وجل ( الأم ٣/٢٧٦ ) .

ويظهر أن علياً كان يقيم كثيراً في بنبع فقد روى « أحمد بن الضحاك أن أبا فضالة خرج عائداً لعلي بينبع وكان مريضاً فقال له : ما يسكنك هذا المنزل لو هلكت لم يَلِكَ إلا الاعرابُ أعراب جُهَيْنَة ، فاحتمِل إلى المدينة فإن أصابك قدرٌ وليك أصحابك فقال علي : اني لست بميت من وجعي هذا إن رسول الله ﷺ عهد إلي أن لا أموت حتى اضرب ثم تخضب هذه - يعني لحيته - من هذه - يعني هامته - ( وفاء الوفا ٢ / ٣٩٣ ) .

ويروى يحي بن آدم عن الحسن عن عبد الله بن الحسن « ان علياً (رض) سأل عمر بن الخطاب فأقطعه ينبع » .

ويقول جعفر بن محمد إن علياً : اقطعه عمر ينبع وأضاف اليها غيرها ( ياقوت ٣ / ٩٠٣ وفاء ٢ / ٣٥٦ ) ويروى عمار بن ياسر : اقطع النبي ﷺ علياً بذي العُشَيرَة من ينبع ثم اقطعه عمر بعد ما استخلف قطيعة، واشترى علي اليها قطيعة وكانت أموال علي بينبع عيوناً متفرقة تصدق بها . ( وفاء ٢ / ٣٩٣ ) وهذا نص غامض قد يفهم المرء منه أن كل هذه الأموال بينبع.

ويروي ابن شبّة عن كشد بن مالك الجهني قال : نزل طلحة بن عبد الله وسعيد بن زيد بن علي بالمنجار ( البكري : التجار ) وهو موضع بين حورة ( حوزة ) السفلى وبين منحوين ( البكري : منحوس ) على طريق التجار، يرقبان عِير أبي سفيان فأجازهما كشد فلما أخذ رسول الله ﷺ ينبع اقطعها لكشد فقال : اني كبير ولكن اقطعها لابن اخي فاقطعها له فابتاعها منه عبد الرحمن بن سعد الأنصاري بثلاثين الف درهم فخرج عبد الرحمن اليها أو أصاب صافيها وربحها فقدرها وأقبل راجعاً ( البكري : فاستوبأها ورمد بها وكر راجعاً ) فلحق علي بن أبي طالب ( رض ) دون ينبع فقال : من

أين جئت ؟ فقال : من ينبع سنمتها ( البكري : شنفتها ) فهل لك أن تبتاعها ؟ قال علي : قد أخذتها بالثمن ، قال : هي لك . فكان أول شيء عمله فيها البُغَيْبغَة ( وفاء ٢ / ٣٩٢ – البكري ٦٥٧ ) .

ان هذا النص يشير الى أن علياً اشتراها جملة ، ولا يشير من أين حصل عليّ على الثلاثين الف درهم كما لا يشير الى الاقطاعات التي ظفر بها من النبي (ص) وهل سبقت هذا الشراء وهو ما نرجحه كما لا يذكر موقع اقطاع عمر .

واذا اخذنا بما قال ابن شَبّة فيمكن القول ان النبي أقطع عليّاً بعض ينبع ثم وسعها شراءاً أو اقطاعاً فأصبحت مقاطعة واسعة وان كنا لا نعرف مساحتها .

ويقول ابن شَبّة فيما نقل في صدقته : وكانت أمواله متفرقة بينبع ومنها عَين يقال لها عين البُحَيْر ، وعين يقال لها عين أبي نَيْزر ، وعين يقال لها نولا ، وهي التي يقال ان علياً (ع) عمل فيها بيده ، وفيها مسجد النبي وهو متوجه الى ذي العُشَيرة ، وعمل عليّ أيضاً بينبع البغيبغات » ( وفاء ٢ / ٣٤٨ ) .

ليست لدينا معلومات عن عين البُحَيْر وعين نولا ، ويبدو انهما من أقدم عيون ينبع لأن علياً عمل فيها بيده ، وفيها مسجد النبي ﷺ في العُشَيرة . أما البغيبغة وعين أبي نيزر فلدينا عنها معلومات واسعة نسبياً .

أما البغيبغة فقد روى ابن شَبّة ان ينبع لما صارت لعلي كان أول شيء عمله فيها البُغَيْبِغَة ، وأنه لما بُشّر بها حين صارت له قال : تَسُرُّ الوارث ، ثم قال : هي صدقة على المساكين وابن السبيل وذوي الحاجة الأقرب .

وفي رواية للواقدي ان جذاذها بلغ في زمن علي ألف وسق . وقال محمد ابن يحيى : عمل علي بينبع البغيبغات ، وهي عيون منها عين يقال لها خيف الاراك ، ومنها عين يقال لها خيف ليلى ، ومنها عين يقال لها خيف نسطاس .

قال : وكانت البغيبغات مما عمل علي وتصدّق به ، فلم يزل في صدقاته

حتى أعطاها حسينُ بن علي عبدَ الله بن جعفر بن أبي طالب يأكل ثمرهـــا : ويستعين بها على دينه ومؤونته ، على أن لا يزوج ابنته من يزيد بن معاوية ، فباع عبد الله تلك العيون من معاوية . ثم قبضت حين ملك بنوها ثم الصوافي فكلم فيها عبد الله بن حسن بن حسن أبا العباس وهو خليفة فردّها في صدقة علي ، فأقامت في صدقته حتى قبضها أبو جعفر في خلافته وكلم فيها الحسن بن زيد المهديَّ حين استخلف وأخبره خبرها فردّها مع صدقات علي ( وفـــاء ٢٦٢/٢ — ٣ ) .

وقال المبرد : روي ان علياً لما أوصى الى الحسن وقف عين أبي نـــيزر البغيبغة ، وهي قرية بالمدينة وقيل عين كثيرة النخل ، غزيرة الماء ، فلم تزل هذه الضيعة في يد بني عبد الله من ناحية أم كلثوم يتوارثونها حتى استخلف المأمون فذكر له فقال : َكلاّ ، هذه وقف علي ، فانتزعها وعوضهم عنهـــا وردّها الى ما كانت عليه ( وفاء ٢٦٣/٢ ) .

ويقول السمهودي عن البغيبغة : « وهي معروفة اليوم بينبع » ( وفاء ٢٦٢/٢ ) .

ويقول وكيع : « ان البغيبغة صدقة علي بن أبي طالب وان معاوية كان خطب أم كلثوم بنت عبد الله بن جعفر وهي بنت زينب بنت علي لفاطمـــة بنت محمد ، على ابنه يزيد ، فأراد أن ينكحه فبعث الى حسين في ذلك فذكر حديثاً طويلا فيه ان البغيبغة لم تزل في يد حسن حتى هلك ، ثم وثب عليها يزيد بن معاوية فكانت في يده ، ثم كانت في يد ابن الزبير فكانت إذا كانت المدينة في يد ابن الزبير وثب عليها آل علي ، وإذا كانت في يـــد يزيد بن معاوية قال : البغيبغة في يده ، ثم دفعها عبد الملك الى آل معـــاوية ، حتى قام عمر بن عبد العزيز فردّها الى آل علي ، فلما ملك يزيد بن عبـــد الملك ردّها الى آل معاوية » ( أخبار القضاة ١٥٣/٢ ) .

أما عين ابي نيزر فقد ذكر السمهودي : « عين أبي نيزر بينبع من صدقة علي بن أبي طالب » ( وفاء ٣٤٨/٢ ) .

يروي أبو محلم محمد بن هشام بإسناده : كان أبو نيزر من أبناء بعض ملوك الأعاجم ، قال : وصح عندي بعد انه من ولد النجاشي فرغب في ا لاسلام صغيراً، فأتى رسول(ص)الله وكان معه في بيوته،فلما توفي رسول الله صار مع فاطمة وولدها .

قال ابو نيزر : جاءني علي بن أبي طالب وأنا أقوم بالضيعتين عين أبي نيزر والبغيبغة فقال : هل عندك من طعـــام ؟ فقلت : طعام لا أرضاه لأمير المؤمنين : َقرعٌ من َقرعِ الضيعة ضالته بإهالةٍ َسنِخَةٍ ( البكري حنقته بإهالة سنحة ) فقال : عَلَـيَّ به ! فقام الى الربيع وهو َجدْوَل ، فغسل يده ، ثم أصاب من ذلك شيئاً ثم رجع الى الربيع .

ثم جعلها صدقة فكتب : « بسم الله الرحمن الرحيم ؛ هذا ما تصدق به عبد الله علي أمير المؤمنين ، تصدّق بالضيعتين : بعين أبي نيزر والبغيبغة على فقراء أهل المدينة وابن السبيل يقي بها وجهه من َحرّ النار يوم القيامة ، لا تباعا ولا توهبا حتى يرثها الله وهو خير الوارثين إلا أن يحتاج اليهما الحسن والحسين فهما طلق لهما وليس لأحد غيرهما .

قال ابو محلم محمد بن هشام : فركب الحسين َديْنٌ فحمل اليه معاوية بعين أبي نيزر مائتي ألف دينار فأبى أن يبيع وقال : إنما تصدّق بهـــا أبي يَقي وجهه َحرّ النار ولست بايعها بشيء ( ياقوت ١/٧٥٧والبكري عن محمد بن يزيد عن محمـد بن هشام ٦٥٧–٨) .

وينقل السمهودي عن كتاب صدقـة علي من ابن َشبّة : ( ان ما كان لي بينبع من ماء يعرف لي فيها وما حوله صدقة وقفتها غير ان رباحاً وأبا نيزر وجبيرا اعتنقاهم وهم يعملون في الماء خمس حجج وفيه نفقتهم ورزقهم . انتهى (وفاء ٢/٣٤٨) .

ونحن نرجح اصالة هذه الجملة لسعة اطلاع ابن شبة واهتمامه بالصدقات ودقته، ونرى ان نص أبي محلم المذكور آنفـاً مبتور ، غير أنه غير مغلوط لأن السمهودي يقول « فكتب وذكر الصـدقة بالضيعتين البغيبغة وعين أبي نيزر

على فقراء أهل المدينة وابن السبيل ، لا يباعان ولا يوهبان إلا أن يحتاج لهما الحسن او الحسين فهما طلق لهما وليس ذلك لغيرهما ، قال ابن هشام : فركب الحسين دين فحمل اليه معاوية بعين أبي نيزر مائتي الف دينار فأبى ان يبيع. ( وفاء ٣٤٨/٢) ويبدو ان السمهودي قد نقل عن محمد بن هشام هذا النص الذي يشبه ما رواه ياقوت والبكري.

ويروي ياقوت ان وقف هذين الموضعين كان لسنتين من خلافة علي (ياقوت ٦٩٧/١) وهذا نص غير دقيق لأن علياً لم يذهب الى المدينة بعد أن سار الى العراق في اوائل خلافته .

ويروى ياقوت : ( وتحدث النيزريون ان معاوية كتب الى مروان بن الحكم وهو والي المدينة : أما بعد فإن امير المؤمنين قد أحب أن يرد الالفة ويسل السخيمة ويصل الرحم ، فاذا وصل اليك كتابي فاخطب إلي عبدالله بن جعفر ابنته أم كلثوم على يزيد بن أمير المؤمنين وأرْغِبْ له في الصداق. فوجه مروان الى عبدالله بن جعفر فقرأ عليه كتاب معاوية وعرفه ما في الإلفة من اصلاح ذات البين ، قال عبدالله: ان خالها الحسين بينبع ، وليس ممن يُفتَات عليه ، فأنظرني الى ان يقدم ، وكانت أمها زينب بنت علي ( رض ) فلما قدم الحسين ذكر له ذلك عبدالله بن جعفر فقام من عنده ودخل على الجارية، وقال : يا بنية إن ابن عمك القاسم بن محمد بن جعفر بن أبي طالب أحق بك ، ولعلك ترغبين في كثرة الصداق وقد نَحلتُك البُغيبغات .

فلم تزل هذه الضيعة في يدي [آل] عبدالله بن جعفر من ناحية أم كلثوم بتوارثونها حتى استخلف المأمون فذكر [له] ذلك فقال : كلا هذا وقف علي ابن ابي طالب على ولد فاطمة ، فانتزعها من ايديهم وعوضهم عنها وردها الى ما كانت عليه» (ياقوت ٦٩٧/١) البكري ٩٥٦ عن محمد بن هشام بتاخيص).

**املاك اخرى :**

يروي جعفر الصادق (رض) ان النبي (ص) اقطع علياً (رض) ارضين الفقيرين – وبئر قيس والشجرة (ياقوت٩٠٦/٣و فاء ٣٥٦/٢) ويذكر يحيى بن آدم أن النبي (ص) اقطع علياً بئر قيس والشجرة دون أن يذكر الفقيرين (الخراج: ٢٥٥) . ونقل

ابن شبّة في صدقة علي ان فيها الفقيرين بالعالية وانه ذكر ان حسناً أو حسيناً، باعا ذلك فتلك الأموال متفرقة في ايدي الناس ثم حكى كتاب الصدقة نصاً ولفظه: والفقيرين كما قد علمتم صدقة في سبيل الله. تم ذكر تسويغ البيع لكن من الحسن والحسين دون غيرهما ( وفاء ٢/٣٥٦).

ويقول السمهودي: « الفقير موضعين قرب المدينة يقال لهما الفقيران... قال: المَجد: وبعالية المدينة حديقة تعرف بالفقير ... وسبق في الصدقات مكاتبة سلمان سيده القرظي على ان يحيي له ذلك النخل بالفقير فالظاهر انه المعروف اليوم بالفقير قرب بني قريظة» (وفاء ٢/٣٥٦).

وذكر ابن شبّة في صدقات علي (رض) وادٍ يقال له تُرعة بناحية فَدَك بين لابتي حرة ( وفاء ٢ / ٢٧٠ ).

ويقول « ابن شبّة في صدقات علي: وله بحرَة الرَّجْلا من ناحية شعب زيد: وادٍ يدعى الأحمر، شطره في الصدقة، وشطره بأيدي آل مناع، وبني عدي منحة من علي، وله أيضاً بحرة الرجلا واد يقال له البيضاء فيه مزارع وعضاه، وهو في الصدقة ثم قال: وله بناحيــة فدك بأعلى حرة الرجلا مال يقال له القصيبة ... ان وادي القصيبة قبلي خيبر وشرقي وادي عصر » ( وفاء ٢ / ٢٨٨ ).

« ونقل ابن شبة أن علي بن أبي طالب كان من صدقاته بالمدينة بئر الملك بقناة ( وفاء ٢ / ٢٥٨ ).

يروي يحيى بن آدم عن قيس عن عبد الله بن عطاء عن أبي جعفر « ما قتل ابن عفان حتى بلغت غلة علي مائة الف » ( الخراج ٢٦٣ ).

يذكر الشافعي « ولم يزل علي بن أبي طالب ( رض ) يلي صدقته بينبع حتى لقى الله عزّ وجل، ولم تزل فاطمة عليها السلام تلي صدقتها حتى لقيت الله تبارك وتعالى ( الام ٣/٢٧٦ ). ويقول أيضاً: وقد وصفت لك ان أهل هذه الصدقات من آل علي وغيرهم قد ذكروا ما وصفت من ان علياً ومن

تصدّق لم يزل يلي صدقتـه ، وصدقاتهم فيها جارية ثم ثبتت قائمـة مشهورة القسم والموضع الى اليوم ( الأم٣/٢٧٨ ) .

وهو يروي عن محمد بن علي بن نافع عن عبد الله بن حسن بن حسين عن غير واحد من أهل بيته قال : وأحسبه قال زيد بن علي ، ان فاطمة بنت رسول الله(ص)تصدقت بمالها على بني هاشم وبني المطلب وان علياً(رض) تصدق عليهم وأدخل معهم غيرهم قال الشافعي : واخرج إليّ والي المدينة صدقة علي ابن ابي طالب واخبرني أنه اخذها من آل ابي رافع ، وانها كانت عندهم فأمر بها وقرئت عليّ فاذا فيها : تصدق بهـا علي ( رض ) على بني هاشم وبني المطلب ، وسمى معهم غيرهم قال وبنو هاشم تحرم عليهم الصدقة المفروضة لم يسم علي ولا فاطمة منهم غنياً ، ولا فقيراً .... » ( الام ٣ / ٢٧٩ ) .

فأما صدقة فاطمة فمنها — فيما يروي عرام— أم العيال (جبال تهامة ٤٠٤ ياقوت ١ / ٣٣٦ وفاء ٢ / ٢٤٨ ) .

## املاك آل علي :

وبجانب املاك علي وفاطمة وصدقاتها التي ورثها اولادهما فقـد ذكرت اراضي كان يمتلكها الحسن والحسين واولادهما في مواقـع متعددة دون ان تشير المصادر الى زمن امتلاكها او طريقته .

فيذكر عرام: (وفي سايَة نخل ومزارع وموز ورمان وعنب ... واصلها لولد علي بن ابي طالب وفيها من افناء الناس ( عرام ص ٤١٤ ياقوت ٢ / ٢٠٦ البكري ٧٨٦ وفاء ٢ / ٣٢١). ويقول ابن جِنّي : شَمَنْصِيْر : جبـل سايَةَ ، واد عظيم به اكثر من سبعين عيناً وهو وادي أمَج » (وفاء٢/٣٢١) ويقول السمهودي : « عين يحنس كانت بالمدينة للحسين بن علي استنبطها غلام له يقال له يحنس : وباعها علي بن الحسين من الوليد بن عتبة بن ابي سفيان بسبعين الف دينار قضى بها دين ابيه الحسين اذ قتل وعليه هـذا القدر » ( وفاء ٢ / ٣٤٩ ) ويقول ايضاً : ( قراقر موضع من اعراض المدينة لآل

حسين بن علي بن ابي طالب » ( وفاء ٢ / ٣٦٠ ) و « العَمْقُ : واد يصب في الفُرُع ويسمى عَمْقَيْن لبعض ولد الحسين بن علي ، وقيل هو عين بوادي الفرع وسبق في أودية العقيق ان ما دَبرَ من ثنية عَمْقٍ يصب في الفُرُع » ( وفاء ٢ / ٣٤٣ ) .

ويذكر الطبري: (ان علي بن الحسين وهو بمال له الى جنب المدينة (طبري ٢ / ٤١٠ ) . ويذكر السمهودي: (عَبَاثِرُ : واد من الأشعر بين نخلي وبُوَاط فيه نقب يؤدي الى ينبع وهو لبطن من جهينة ابتـــاع موسى بن عبد الله الحسيني منهم اسفله وعالج بها عينا ( وفاء ٢ / ٣٤٢ ) .

أما عن الحسن فيقول السمهودي ان « الحفياء صدقـــة الحسن بن علي » ( وفاء ٢ / ٢٩٢ ) . و « مرتج : واد قرب المدينة لحسن بن علي وقيل : موضع قرب الأبواء ( وفاء ٢ / ٣٧١ ) . ويقول ياقوت : مرتج وهو موضع قرب وَدّان وقيـــل هو في صَدْر نَخْلى واد لحسن بن علي بن ابي طالب ( ياقوت ٤ / ٤٨٦ ) .

أما اولاده فيقول السمهودي « نَخْلى من أودْية الأشعَر الغَوْرية تصب في يَنْبُع وبأسفله عيون لحسن بن علي بن حسن منها ذات الأسِيل وبأسفله البَلدَة والبُليدة » ( وفاء ج ٢ ص ٣٨٢) و«السّيالة وهي لولد الحسن بن علي ولقوم من قريش» اليعقوبي البلدان ٣١٤ .

ويضيف السمهودي على ذلك « وعلى ميل منها عين تعرف بسُوَيقَة لولد عبد الله بن حسن كثيرة المياه عذبة .. ( وفاء ٢ / ١٦٦ بكري ٧٧٠ ) .

ويقول البكري « الحزرة تلقاء سُوَيقة لآل الحسن بن حسن بن علي بن أبي طالب » ( بكري ص ٤٤١ ) . أما السمهودي فيقول « الحَزْرَة : من أودية الأشعر يفرغ في الفقارة ، سكانه بنو عبد الله بن الحصين الأسلميون وبه المُلَيْحَة وبأسفلها العين الـــتي تدعى سُوَيقة ( وفاء ٢ / ٢٩١ ) . ويقول البكري : « البثنة أرض تلقاء سويقة ، بالمدينة اعتملهـا عبد الله بن حسن بن حسن ... وبأسفل الحورة عين عبد الله بن الحسين التي تدعى سويقة ، ثم تنفذ بين السفح والمُشاش، وبها ذات الشعب وبها المليحة» (بكري١٥٦).

أما الحسن بن زيد فقد كانت له أملاك كثيرة منهـــا : « الحفيا صدقة الحسن بن ريد بن علي وهي بأدنى الغابة » ( وفاء ٢ / ٢٩٢ ) . و « عابد بطرفه عين للحسن بن زيد علي الطريق منقطعاً فيها » ( وفاء ٢ / ٢٤١ ) . و « السُّقيا ... وهي كثيرة الآبار والعيون والبرك كثير منها صدقات للحسن بن زيد » ( البكري ٧٤٣ ) .

و « عيون الحسين بن زيد بن علي بن الحسين وهي ثلاث باعمـــال المدينة احداها بالمضيق والأخرى بذي المروة والثالثة بالسقيا » ( وفاء ٢ / ٣٤٩ ).

ويروي السمهودي عن الحسن بن زيد انه أخذ من معن بن زائدة عشرين الف دينار .. وقدمت المدينة واستخرجت عيناً بالمضيق وعينـــاً بالسُّقيا وبنيت منازل بالبقيـع » ( وفاء ٢ / ٣٤٩ ) .

ويذكر السمهودي : سويقة عين عذبة كثيرة الماء بأسفل حزرة (حورة؟) على ميل من السيالة ناحية عن الطريق يمـــين المتوجه إلى مكة لولد عبد الله بن حسن ( وفاء ٢ / ٣٢٦ / ١٦٦ ) .

و « قال المجد : هي موضع قرب المدينة يسكنه آل علي بن ابي طالب ( وفاء ٢ / ٣٢٦ ) .

وكان محمد بن صالح بن عبد الله بن موسى الحسني خرج على المتوكل فانفذ اليه ابا الساج في جيش ضخم فظفر به وبجماعة من أهله فأخـــذهم وقيدهم وقتل بعضهم واخرب سُوَيْقَةَ وعقر بها نخلاً كثيراً وعقر منازلهم وما أفلحت سويقة بعد « الأغاني ٤ / ٨٥ – وفاء ٢ / ٣٢٦ ) . ويروي ياقوت « ملل : واد ينحدر من ورقان جبل مزينة ، حتى يصب في الفَرْش ، فَرْش سُويقة وهو مُتَبَدَّى بني حسن بن علي بن ابي طالب وبـني جعفر بن ابي طالب ثم ينحدر من الفرش حتى يصب في إضم ثم يفرغ في البحر » ( ياقوت ج ٣ ص ٨٧٤ – ٥ ) .

ويقول الأسدي : ( السيالة وهي لولد الحسين بن علي بن ابي طالب ولقوم

من قريش وعلى ميل منها عين تعرف بسويقة لولد عبد الله بن حسن كثيرة الماء عذبة....وذكر آباراً كثيرة بالسيالة وكان قد تجدد منها بعد النبي (ص) عيون وسكان ( وفاء ج ٢ ص ١٦٦ ) .

ويقول اليعقوبي : ( السيالة وهي لقوم من ولد الحسين بن علي بن ابي طالب وكان بها قوم من قريش وغيرهم ( البلدان ٣١٤ ) .

ويقول البكري : ( السيالة لولد حسن بن علي ... وبالسيالة آبار عظيمة بئر الرشيد منها تسع اذرع ( ٧٧٠ ) .

وقال الأسدي : ( وبالسقيا مسجد لرسول الله الى الجبل ، وعنده عين عذبة ثم ذكر ان بالسقيا أزيد من عشر آبار ، وان عند بعضها بركة . ثم قال وفيها عين غزيرة الماء ومصبها في بركة في المنزل ، وهي تجري الى صدقات الحسن بن زيد ، عليها نخل وشجر كثير ، وكانت قد انقطعت ثم عادت في سنة ٢٤٣ ثم انقطعت في سنة ٢٥٣ ، قال وعلى ميل من المنزل موضع فيه نخل وزرع وصدقات للحسن بن زيد فيها من الآبار التي يزرع عليها ثلاثون بئراً ، وفيها ما أحـــدث من أيام المتوكل خمسون بئراً ، وماؤهن عذب ، وطول رشائهن قامة وبسط وأكثر وأقل » ( وفاء ج ٢ ص ) .

يروي الزبير بن بكار كان الحسن بن زيد قـد عود داود بن سلم مولى تيم اذا جاءته غلة من الخانقين أن يصله « الأغاني » ٦ / ١٥ ) .

ويذكر السمهودي : « صَفَرُ جبـــل أحمر بفرش ملل يقابل عَبُّوداً ، الطريق بينهما ، وبه بناء كان للحسن بن زيد وبقضاه ردْهة يقال لهـا ردهة العجوزين والعجوزين هضبات هناك كان يسكنهـا أبو عبيدة بن عبد الله بن زمعة بن الأسود بن المطلب الزمعي جد ولد عبد الله بن حسن بن حسن بن علي بن أبي طالب لأمهم ( وفاء ٢ / ٣٣٧ ، ص ٣٣٥ بكري ١٢٥٧ ) .

ويقول السمهودي عن عبود : ( وفاء : ٢ / ٣٤١ ) ( بطرفه عين الحسن بن زيد على الطريق منقطعة فيها يقول معقل الليثي :

قد ظهرت عين الأمير مظهراً   بسفح عبود ، اتته   من مرا

« قال الزمخشري يَيْنُ : عين بواد يقال له حَوْرَتان ، وهي اليوم لبني زيد الموسوي من بني الحسن » ( وفاء ٢ / ٣٩٣ ) .

ويقول السمهودي عن يَين : « وسيلها يصب في حَوْرَتين واثر العين والقرية اليوم موجودة هناك ، وكان بها فواكه كثيرة حتى نقل الهجري ان يين بلد فاكهة المدينة ، وكانت تعرف من قريب بقرية بني زيد ، فوقع بينهم وبين بني يزيد حروب فجلا بنو زيد الى الصفراء وبنو يزيد إلى الفرع ، فخربت ، وكانت منازل أسلم قديماً ( وفاء ج ٢ ص ٣٩٣ ) .

يروي ابن شبّة عن عيسى انه لما قتل عيسى من موسى محمداً ( النفس الزكية ) قبض أموال بني الحسن كلها فأجاز ذلك أبو جعفر (طبري ٣/٢٥٨) ويروي أيضاً أنه « كتب أبو جعفر إلى عيسى بن موسى : من لقيك من آل أبي طالب فاكتب إلي باسمه ، ومن لم يلقك فاقبض ماله ، قال فقبض عين أبي زياد ، وكان جعفر بن محمد تغيب عنه فلما قدم أبو جعفر كلمه قال : مالي قد قبضه مهديكم » ( طبري ٣ / ٢٥٨ ) .

ويروي أيوب بن عمر « لقي جعفر بن محمد أبا جعفر فقال يا أمير المؤمنين ردّ علي قطيعتي عين أبي زياد ، آكل من سعفها فقال : إياي تكلم بهذا الكلام ، والله لازهقن نفسك ، قال فلا تعجل عليّ ، قد بلغت ثلاثاً وستين ، وفيها مات أبي وجدّي وعلي بن أبي طالب ، وعلي كذا وكذا إن رِبْتُك بشيء أبداً ، وان بقيت بعدك إن رِبْتُ الذي يقوم بعدك ، قال : فرقّ له وأعفاه ( طبري ٣ / ٢٥٨ ) .

غير ان هشام بن ابراهيم بن هشام يروي « لم يرد ابو جعفر عين ابي زياد حتى مات فردها المهدي على ولده » (طبري ٣/٢٥٨) .

ويروي ياقوت والسمهودي عن الهجري « وفي شق حمراء الأسد الأيمن خاخ بلد — فيه منازل لمحمد بن جعفر بن محمد وعلي بن موسى الرضا وغيرهم ،

وبشر محمد بن جعفر وعلي بن موسى ومزارعهـــا تعرف بالحضر » ( ياقوت ١٨٤/٢ وفاء ٢/٢٩٦-٧) .

اما الحسين بن علي صاحب َفخّ فيروي الأصبهـــاني بسند عن الحسن بن هذيل ان الحسين قدم بغداد « فباع ضيعة له بتسعة آلاف دينـــار (مقاتل الطالبين ٤٤١)والراجح ان هذه الضيعة كانت بالحجاز حيث يقيم الحسين بن علي.

ويذكر السمهودي ان زين العابدين كان يسكن العُنابة، وهي قارة سوداء- اسفل من الرويثة الى المدينة .. (وفاء ٣٤٧/٢) .

كما يذكر ان «عين القشيري بطريق مكة بين السُقيا والأبواء كثيرة الماء لها مشارع يشرب منها الحاج ، وعليها نخل كثير كانت لعبـــدالله بن الحسن العلوي ( وفاء ٣٥١/٢).

وقد ذكرت لآل جعفر بن أبي طالب أملاك منها َملَل ُ التي يذكر اليعقوبي انها في هذا الوقت منازل قوم من ولد جعفر بن ابي طـالب» البلدان ٣١٣ ) ويقول ياقوت:(ملل : واد ينحدر من ورقان جبل مزينة حتى يصب في الفرش فرش ُسويقة وهو متبدّى بني الحسن بن علي بن ابي طالب وبني جعفر بن أبي طالب ثم ينحدر من الفرش حتى يصب في إضم (ياقوت ٦٣٧/٤) ٨٧٤/٣-٥).

وكانت الأثيل موضع بين َبدر والصفراء به عين لآل ِجعفر بن ابي طالب ( وفاء ٢-٢٤٢) وكُتانة : عين بين الصفراء والأثيل لبني جعفر بن أبي طالب (وفاء ٢-٣٦٤) ويقول البكري إن «كُتـــانة موضع بنجد[1] فيه نخل كثير كان لجعفر بن ابراهيم بن عبدالله بن جعفر قال محمد بن حبيب : وهي اليوم لبني مريم» (البكري ١١١٣) .

ولبني جعفر بن ابي طالب عين بالشّبا : وادٍ من اودية المدينـــة ... وقال ابن حببب : الشبا قريب من الأبواء لجهينة ( بكري ٧٧٧ ياقوت ٢٤٧/٢ ) وينقل ياقوت عن أبي الحسن المهلبي : أن شبا واد بالأثيل من أعراض المدينة

---

(١) ليست في نجد بل بتهامة في الصفراء الوادي الذي لا يزال معروفاً .

فيه عين يقال لها خيف الشبالبني جعفر بن ابراهيم من بني جعفر بن أبي طالب ( ياقوت ٢٤٧/٢) ٥٧٣/٣ ، وفاء ٣٢٧/٢) .

وينقل ياقوت عند كلامه عن ودّان عن أبي زيد قوله : وبهـــا كان ايام مقامي بالحجاز رئيس للجعفريين –أعني جعفر بن أبيطـــالب– (ولهم بالفرع والسائرة ضياع كثيرة ، وبينهم وبين الحسنيين حروب ودمـاء حتى استولى طائفة من اليمن يعرفون ببني حَرْبٍ على ضياعهم فصاروا حرباً لهم فضعفوا (ياقوت ٩١٠/٤ وفاء ٣٩٠/٢) .

## املاك آل الزبير

لقد بدأ امتلاك الزبير للأراضي منذ وقت مبكر .

فيروي هشام بن عروة عن ابيه أن النبي (ص) أقطع الزبير أرضاً فيها نخل كانت من أموال بني النضير ( ابن سعد ٣–٧٢/١ فتوح البلدان ٢٠).

ويذكر السمهودي عن ابن شبّة: صدقة الزبير في بني مُحمَّم ، وهيقرب صدقات النبي (ص) وكانت معروفة في زمن الشافعي ، ويذكر ابن شبَّة عن أبي غسان ان النبي (ص) اقطع الزبير ماله الذي يقال له بنو مُحَمّم من أموال بني النضير ، فابتاع اليه الزبــير شيئاً من أموال بني محمم فتصدق بها على ولده ( وفاء ٦٨/٢ انظر ايضاً ٣٧/٢) .

يروي هشام بن عروة عن ابيه ان أبا بكر اقطع الزبير الجُرف ( ابن سعد ٣–٧٢/١ وفاء ٢٨٠/٢) .

ويروي يحيى بن آدم عن عروة ان ابا بكر اقطع الزبير ما بين الجُرُفِ الى قناة ( الخراج ٢٤٢/٢٤٣ فتوح ٢٠ ياقوت ١٨٢/٤) .

كما يروي هشام بن عروة عن أبيه أن عمر أقطع الزبير العَقيق كلّه (ابن سعد ٣ – ٧٢/١ ) إلا أن أوسع أمــلاك الزبير هي الغابة . يقول هشام بن عروة : « وكان الزبير اشترى الغابة بسبعين ومائة الف فباعها عبـــد الله بن الزبير بألف ألف وستائة الف ، ثم قام فقال : مَن كان له على الزبـــير شيء

فليوافينا بالغابة ، قال فأتاه عبد الله بن جعفر وكان له على الزبير أربعمائة الف ، فقال لعبد الله : إن شئتم تركتها لكم ، وإن شئتم فأخروها فيما تؤخرون إن أخرتم شيئاً ، فقال عبد الله بن الزبير : لا ، قال : فاقطعوا لي قطعة ، فقال عبد الله : لك من هاهنا الى هاهنا ، قال : فباعه منها بقضاء دينه فأوفاه ، وبقي منها أربعة أسهم ونصف ، قال : فقدم على معاوية وعنده عمرو بن عثمان والمنذر بن الزبير وابن زمعة ، قال : فقال له معاوية : كم قومت الغابة ؟ قال : كل سهم مائة الف ، قال : كم بقي ؟ قال : أربعة أسهم ونصف ، قال : فقال المنذر بن الزبير : قد أخذت سهما بمائة الف ، فقال عثمان : فكم بقي ؟ قال : سهم ونصف ، قال : أخذته بخمسين ومائة ألف ، قال : وباع عبد الله بن جعفر نصيبه من معاوية بستمائة الف ، ثم قسم الميراث وله أربعة نساء فأصاب كل امرأة الف الف ومائة الف ،قال فجميع ماله خمسة وثلاثون الف الف ومائتا الف » ( سعد ٣ — ١ /٧٦ ) انظر أيضاً وفاء ٢/٣٥١ — ٢ ياقوت ٦٧٣ . ويقول هشام بن عروة : « قتل الزبير ولم يدع ديناراً ، ولا درهماً إلا أرضين منها الغابة ( ابن سعد ٣ — ١ / ٧٦ ) .

ويذكر البكري أن بالغابة « ثرمد مال كان للزبير باعه عبد الله ابنه في دين أبيه ثم صار للوليد بن يزيد » ( بكري ١٣٣٣ ) فأما عروة بن الزبير فيروي البكري انه اشترى أرض المغيرة بن الاخنس التي في وادي العقيق والتي كان قد اقطعها مروان بن الحكم عبد الله بن عباس بن علقمة من بني عامر « فذلك مال عروة بن الزبير ، وهناك قصره المعروف بقصر العقيق ، وبئره المنسوبة اليه وهي سقاية » ( بكري ١٢٣٠ ) .

كما كانت له صلاصل وهي أرض بحرة بطحان ثم صارت لابنه يحيى فوقفها في بنيه وكان يقال لها المغتربة ( وفاء ٢/١٩٦ ) .

كما كانت له أموال بمجاح [١] في ناحية الفرع حيث مات ودفن هناك

---

(١) مجاح — بالميم بعدها جيم مفتوحة ، فألف ، ثم حاء مهملة : واد ينحدر من الفرع حتى يصب في وادي الابواء عند مكان عين القشيري المعروف الآن باسم بئر ابن مبيريك ، درست العين ، وحفرت بقربها هذه البئر .

( ابن سعد ٥/١٣٥ ) .

ولما ولي ابراهيم بن هشام لهشام بن عبد الملك أراد ان يدخل في حقوق بني عروة بالفرع فحال بينه وبين ذلك فهدم قصر عروة ، وشعثه ، وطرح في بئر عروة جملاً مطلياً بقطران فكتب عبد الله الى هشام بن عبد الملك بذلك ، فكتب الى ابن ابي عطاء عامله على ديوان المدينة أن يرد ذلك على ما كان حتى يضع الوتد في مَحَلِهِ ، فكان غُرْمُ ذلك الف دينار وثلاثين ألف درهم ( وفاء ٢ / ١٩٣ ) .

ويروي الزبير عن مصعب بن عثمان انه كان لعروه المقتربة وهي ضيعة بحرّة بطحان « ... فلما مات عروة قال يحى بن عروة لهشام : إن شئت خذ ميراثي من أبي واعطني حقك من المقتربة و وإن شئت فاعطني ميراثك من أبيك وخذ حقي من المقتربة ( نسب الزبير ٢٩٩ / [ ٥٢٠ ] .

أما مصعب فيروي ابن رستة أن « بطن نخل [1] وهو منزل كثير الأهل والخيرُ كثير النخل والزرع والماء من السنى ، والبئر بها قريبة القعر على خمس أذرع يظهر الماء وهي أرض رضراض عمرها بعد الاسلام مصعب بن الزبير في ايام اخيه ( الاعلامه ص ١٧٧ ) .

أما عبد الله بن الزبير فقد كانت له اموال في ثرير عند انصاب الحرم بمكة ( ياقوت – ج ٣ ص ١٣ ) .

ويذكر السمهودي عند كلامه عن أئمة [2] عبد الله بن الزبير ان بها بئرا تعرف بابن الزبير كان الأشعث المزني يلزمها ويتخذ بها المال فاقتنى ماشية كثيرة ( وفاء ٢ / ٢٤١ ) .

ومن أهم املاك الزبير الفرع ويبدو انها كانت منطقة زراعية قديمة فيروي – الزبير عن علي بن صالح عن عامر بن صالح عن هشام ن عروة عن عروه : ان الفرع أول قرية مارت اسماعيل النبي (ص) التمر بمكة ، وكانت

---

(١) يعرف الآن باسم الحناكية واد واسع فيه قرى صغيرة ذات مياه كثيرة ،
(٢) في النقيع ، في اعلى العقيق .

من عمل عاد شقت لها بين جبلين ثم سلكت بالسيل فيه ( نسب الزبير ج ١ ص ٥٣ — ٤ [ ٨٨ ] البكري ص ١٠٢٠ ) .

ويروي الزبير بنفس السند عن عروة ان أسماء بنت ابي بكر قالت لعبد الله : أي بني أعُمِرَ الفُرْعُ ؟ قال : نعم يا أمتاه لقد عمرُ واتخـذتُ به أموالاً ، قالت : والله لكأني أنظر اليه حين مررنا مهاجرين من مكة وكأني أري فيه نخلات واسمع نباح كلب ( نسب الزبير ٥٤ [ ٨٩ ] . البكري ص ١٠٢٠ ) .

ويروى عن عمه مصعب بن عبد الله « اعتمل عبد الله بن الزبير بالفرع عين الفارعة والسنام واعتمل عروة بن الزبير عين المهـد وعسكر ، واعتمل حمزة بن عبد الله عين الربض والنجفة ( نسب الزبير ص ٥٤ [ ٩٠ ] .

فأما عين المُهْد فقد صارت لمنذر بن مصعب ، وقد ذكرهـا خالد بن مصعب في شعر وجّهه لاخيه منذر بن مصعب وعارض بعض أصحابه بمال له على عين المهد من الفرع الى مال لأخيه بالجوانية ، فقال خالد :

خليلي أبا عثمان ما كنت تاجراً ، أتأخذ انضاحاً بنهر مفجـر ؟
أتجعل انضاحـاً قليلا فضولها الى المهد يوماً أو الى عين عسكر ؟
وتأتي بعَصْفٍ ، حينَ يَحْمِلُ نخلها فَفيّ ليس يُرجى للعلوفـة ، أغبر
( نسب الزبير ٣٤١ [ ٥٩٧ ]

وقد أعطى حمزة بن عبد الله ابنه عباداً الربض والنجفة ، عينـين بواد يقال له الفرع بين المدينة ومكة ، تسقيان أكثر من عشرين الف نخلة ولهما قدر كبير ( نسب الزبير ٥٢ [ ٨٥ ] ، فحازهما عباد في حياة أبيـه حتى مات وهما في يده ، فقام عليه اخوته بنو حمزة فخاصموه الى عمر بن عبدالعزيز وهو والي المدينة زمان عبد الملك بن مروان ، فقضى بهما لعباد . وكان عامر بن حمزة ، وأمه أم ولد ، من سروات آل الزبير وجلدائهم ، فيمن خاصمه ، فلما قضى عليهم عمر لعباد ، وجعل عامر بعد ذلك بيسير يغدو الى عمر بن عبد العزيز ويروح في أجراد من ثيابه فيتغدّى معه ويتعشى ، فوقع في نفس

عمر بن عبد العزيز مع الذي رأى من ظاهر كسوته ان به الى ذلك حاجة ، وان اباه أجحف به فيما صنع بعباد ، فأرسل الى عباد فقال له : اني كنت قضيت لك بالربض والنجفة ، وقد رأيت غير ذلك ، ولا أراني الا ساكر النظر في أمرك وأمر إخوتك ، فقال له عباد : إن الذى رأيت من أخي إنما هو مَكْثرٌ منه ، والله ما به اليه حاجة ، وما أخذت هاتين العينين لأستأثر بهما ، وأنا أشهدك اني قد أسلمتها اليوم ورددتها ميراثاً ؛ فجزاه عمر خيراً ، وصارتا ميراثاً واقتسمتا ( نسب الزبير ٥٥ - ٥٦ [ ٩٢ - ٩٣ ] .

وتصدق عامر بن حمزة بالربض على بنتيه فاختة وأسماء وعلى أعقابهما ... وصارت تلك الصدقة لولد عبد الله بن نافع الاكبر (نسب الزبير ٥٦[٩٥] ).

يقول الزبير بن بكار : عين الجثجاثة وهي تبعد ستة عشر ميلا عن المدينة عند حمراء الأسد) :(بها منازل آل حمزة وعباد وثابت بني عبد الله بن الزبير « بكري ص ٣٦٧) ويري الهجري أن الجثجاثةصدقة عباد بن حمزة بن عبدالله بن الزبير وبها قصور وبنيان» ( بكري ص ٣٦٧ ،١٣٢٩) .

ويروي البكري (الأثبة وفيه مال لعباد بن حمزة بن عبدالله بن الزبير كثيرة النخل وهي وقف(بكري ١٣٢٨) .

« وقال الهجري في حمى النقيع وفي شرقي الحرة قَلتَتان نقي ماؤهما وهما أثب وأثيب ، وقال في ترتيب مجراه وغدرانه ما لفظه : ثم الأثبة وبها غدير يسمى الأثبة وبه سميت ، وبه مال لعبدالله بن حمزة الزبيري ، ونخل ليحي الزبيري» (وفاء ج ٢ ص ٢٤١) .

ويذكر الزبير « خرج محمد بن عباد بن عبدالله بن الزبير يريد الصدقة بتَمْرِهِ فعرضت الى ما له بالفرع ثلاث طرق ... (البكري ٣٢٢) .

اما ابو بكر بن عبدالله بن محمد بن المنذر بن عبدالله بن الزبير فقد روى الزبير بن بكار عن عمه عنه «فاصمت(؟) الى الاوقص ضيعتي بالسر[1] سرّاء فهم

(١) كذا في « اخبار القضاة» المطبوع . والطبعة كثيرة الأخطاء ، والصواب : السَّراة ، صراة فهم ، ولا تزال معروفة بقرب الطائف ، وسكانها هم فهم الآن .

فنازعني شيخ من الفهميين : فقال ارضنا ومسلمنا ، فقلت : ان الاموال قد تنقل ( وكيع : أخبار القضاة ١ ص ٢٦٦

« وكان الزبير بن خبيب بن ثابت بن عبد الله بن الزبير نازلاً في ضيعته بالمريسيع سنين » ( نسب الزبير ٩٩ [ ٢٠٧ ] تاريخ بغداد ج ٨ ص ٤٦٦ . وله أيضاً ضيعة بوادي القُرى توفي بها ( نسب الزبير ١٠٩ [٢١٣] .

أما المغيرة بن خبيب بن ثابت بن عبد الله بن الزبير ، فيروي الزبير بن بكار أن المهدي أقطعه «عيونا رغابا بإضَم منها عين يقال لها النبق وألات الحب» (بكري ص١٦٦) نسب الزبير ١١٣ [٢٢١] .

أما الزبير بن بكار فيروي البكري ان له « ثنية الشريد وبها مزارع وآبار وهي ذات غضاء وآجام تنبت ضروباً من الكلأ » ( البكري ص ١٣٣١ ) .

ولعكاشة بن مصعب ضيعة ببني أمية بن زيد تعرف بأم عظام ( نسب الزبير ٣١٥ [٥٦٠] ٥٢٣ [٥٦٠] .

وقد ذكرت لآل الزبير أراضي دون تعيين مالكيها بالتحديد . ومن هذه الأراضي « الجوانية أرض من المدينة لآل الزبير بن العوام » ( بكري ص ٤٠٨ ) . و « خليقة عبد الله بن أبي أحمد بن جحش، وفيها مزارع ونخل وقصور لقوم من آل الزبير وآل أبي أحمد » ( بكري ص ١٣٢٨ ) .

وكانت لمصعب بن عمر الزبيري ضياع ببطن نخل ( نسب الزبير ٣٢٩ [ ٥٧٣ ] . وكان عبد الملك بن يحي : ( رجلا ، موسراً ، وباع من أبي عبيد الله عينا له يقال لها ملح بساية ، بعشرة آلاف دينار ( نسب الزبير ٧٧ [ ١٥٢ ] .

« .. وقال في عينه التي يدعى خيفها منكوب واسم عينها عين الرضا وكان يقال لخيفها محبوب :

وجدنا بحمد الله ماءً ومزرعاً وعيناً رواءا بالمساحي تفجّرُ

فعين الرضا عما قليل غزيرة وساكن محبوب يحيا وينشر
( نسب الزبير ٧٧ / ١٥٥ ) .

**أملاك طلحة :**

يروي الواقدي عن اسحق بن يحي عن موسى بن طلحة أن طلحة كان يغل كل سنة من العراق مائة الف سوى غلاته من السراة وغيرها ، ولقد كان يدخل قوت أهله بالمدينة سنتهم من مزرعة بقناة كان يزرع على عشرين ناضحاً وأول من زرع القمح بقناة هو ( سعد ٣ — ١ ١٥٨ ) . ومن أشهر أملاكه في العراق النشاستج .

ولم يصادر الامام عليّ النشاستج بل ردها إلى أولاد طلحة بعد ما قتل يوم الجمل ( سعد ٣ — ١ / ١٥٨ ) .

ويروي موسى بن طلحة ان عثمان « أعطى طلحة موضماً ، وأخذ منه مالا بحضرموت ( الخميس ج ٢ ص ٣٠٠ ) .

ويروى ابن حبيب انه كان لطلحة حائط أعطى به ستمائة الف فلم يبعه ولكنه أهداه مجاناً لأحد أقاربه ( المحبر ص ١٥١ ) غير اننا لا نعلم موقع هذا الحائط .

ويروى الزبير بن بكار عن ابراهيم بن حمزة عن ابراهيم بن نسطاس عن محمد ابن ابراهيم بن الحارث انه « مر رسول الله ( ص ) في غزوة ذي قرد على ماء يقال له بيسان مالح ، فقال هو نعمان وهو طيب ، فغير اسمه ، فاشتراه طلحة ثم تصدق به ( الاصابة ٢ / ٥٨٥ ياقوت ٤ / ٥٥ وفاء ٢ / ٣٦٠ عن ابان بن عثمان ) .

ويروي الأصبهاني عن عمه عن الكراني عن اللهبي ان عائشة بنت طلحة كانت لها مال بالطائف وقصر كانت تخرج اليه للنزهة بعد ماتأيمت ( الاغاني ١١ / ١٩٠ ) .

أما اولاده فإن جعفر بن طلحة « لزم علاج أمّ العيال وهي عين عملها

بالفرع قدرها عظيم كثيرة الغلة فيها النخل» (نسب .قريش ص ٢٩٠ بكري ١٩٦ ) ويقول ابن حزم : انه انفق عليها ثمانين ألف دينار فكان يغلّ من ثمرتها خاصة أربعة الآف دينار وكانت تسقي ازيد من عشرين الف نخـلة » ( ابن حزم جمهرة الانساب ص ١٣١ وفاء ٢ / ٢٤٨ ويقول ابن حزم : انه انفق عليها مائتي الف دينار .

ويروي البكري .. أم العيال وهي ارض بالفرع لجعفر بن طلحة بن عمر بن عبيد الله بن معمر بن عثمان بن عمرو بن كعب وكان طلحة جميلاً ، وسيما فلزم علاج عين أم العيال ... » بكري ١٩٦ ) .

## اراضي الخلفاء الراشدين وآلهم :

أما الخلفاء فقد كانت لكل منهم اراض :

فأما ابو بكر فقد كانت له ارض بالعالية « جداد يعني صرام [١] عشرين وسقـاً ( ابن سعـد ٣ — ١ / ١٣٨ ) وعمر كانت له ارض بخيبر «لم احسب مالاً ، قط انفس عندي منه فما تأمر به قـال : ان شئت حبست اصلها وتصدقت بها قال فتصدق بهـا عمر » ( سعد ج ٢ — ١ — ٢٦٠ ) . وكان عمر يمتلك ايضاً ( ابن سعد ٢٦٠٣ ياقوت ٣ — ٢٤ ، بكري ٣٤٦ وفاء ج ٢ ص ٢٧٣ ) ، كما كان له مال بالجرف ( وفاء ٢ — ٢٨٠ ) .

وكانت لآل عمر بعض الاملاك فيروي هشام بن عروة عن ابيه انـه كانت لعبد الله بن عمر ارض بالعالية (ابن سعد ج ٣ — ٢ — ١٤٢ ) غير اننا لا نعلم موقعها بالضبط .

وكان لعاصم بن عمر بن الخطاب مال بالأكحل والأكحل يعترض حمى النقيع يساراً للخارج من المدينة[٢] وفاء ٢٤٨/٢) .

---

(١) الجداد هو غلة النخل يقال : جَدَّاد نخلي هذا العام عشرون حملاً — ولا تزال الكلمة مستعملة وكذا الصرام.

(١) الأكحل لا يزال معروفاً وانظر عن تحديده كتاب الحربي « المناسك» .

أما عثمان فيروي الشافعي انه كان له مال بالعالية ( ام ٢/٢٧١ مسند الشافعي ٢/١٩٦ وفاء ٢/٢٢٥) .

ويذكر السرخسي انه باع ارضاً كانت له بالبصرة من طلحة (المبسوط ج ١٣ ص ٧٠ ) . وقد استخرج بالعرصة ارضاً واعتملها وساقاليها خليجاً سمى خليج بنات نائلة ( ياقوت ٢/٤٦٧) وكانت له بالروحاء بئر (وفاء ٢/٣١٤ ). هذا فضلاً عن الآبار التي اشتراها وتصدق بها .

يروي الطبري ان «عثمان قسم ماله وارضه في بني أمية» طبري ١/٢٩٥٤) ولكن ابن سعد يروي عن الواقدي عن ابن ابي سبرة عن سعيد بن أبي زيد عن الزهري عن عبيد الله بن عبدالله بن عتبة ان مما ترك عند وفاته « وترك صدقات كان تصدق بها ببئر أريس وخيبر ووادي القرى قيمة مائتي الف دينار ( ابن سعد ٣-١/٥٣ الذهبي تاريخ الاسلام ١/١٧٠) .

وكانت لزيد بن عمرو بن عثمان ضيعة يقال لها العَرج ( اغاني ١٤/١٦٠).

ويقول اليعقوبي عند كلامه عن الرويثة ان بها قوم من ولد عثمان بن عفان وغيرهم من العرب» (البلدان ٣١٤ ) .

## أملاك الخلفاء الأمويين :

يقول السمهودي : ( ويذكر انه كان بالمدينة وما حولها عيون كثيرة تجددت بعد النبي (ص) وكان لمعاوية اهتمام بهذا الباب ولهذا كثرت في ايامه الغلال بأراضي المدينة وقد نقل الواقدي في «كتاب الحرّة» انه كان بالمدينة في زمن معاوية صوافي كثيرة وان معاوية كان يَجُدُّ بالمدينة واعراضها مائة وخمسين الف وسق ، ويحصد مائة الف وسق حنطة «وفاء ٢-١٥٢) انظر ايضاً ١-٨٩ الجواهر الثمينة ٦١) .

ويذكر الواقدي في «كتاب الحرة» ما ملخصه ان اول ما هاج امر الحرة أن ابن مينا كان عاملاً على صوافي المدينة ( ثم النص اعلاه) واستعمل يزيد

على المدينة عثمان بن محمد بن ابي سفيان ، وان ابن مينا أقبل بشرج[1] له من الحرة يريد الأموال التي كانت لمعاوية فلم يسوقه ولا يصده عنه احد حتى انتهى الى بلحارث بن الخزرج فنقب النقيب فيهم فقالوا : ليس ذلك لك هـذا حدث وضرر علينا ، فأعلم الامير عثمان بن محمد بذلك ، فأرسل الى ثلاثة من بلحارث فأجابوه الى أن يمر به ، فأعلم ابن مينا فغدا بأصحابه فذبوهم ، فرجـع الى الامير فقال : اجمع لهم من قدرت . وبعث معه بعض جند ، وقال : مُرَّ به ولو على بطونهم ، فغدا ابن مينا متطاولاً عليهم ، وأعد من يـذبهم من الانصار ، ورفدتهم قريش ، فذبوهم حتى تفاقم الامر ، فرجـع ولم يعمل شيئاً ، وكتب عثمان بن محمد الى يزيد يخبره بذلك ، ويحرّضه على اهل المدينة جميعاً ، فاستشاط غضباً ، وقال : والله لأبعثن اليهم الجنود ولأوطئنها الخيل ( وفاء ١ ـ ٨٩ ) .

ويقول اليعقوبي: « وولى يزيد عثمان بن محمد بن ابي سفيان المدينة فأتاه ابن مينا عامل صوافي معاوية ، فأعلمه انه اراد حمل ما كان يحمله في كل سنة من تلك الصوافي من الحنطة والتمر ، وأن أهل المدينة منعوه من ذلك ، فأرسل عثمان الى جماعة منهم فكلمهم بكلام غليظ ، فوثبوا به وبمن كان معه من بني أمية وأخرجوهم من المدينة » ( التاريخ ٢-٢٩٧ ) .

وقد اشترى معاوية ثنية الشريد من رجل من بني سليم وكانت أعناباً ونخلا لم ير مثلها ( وفاء ج ٢ ص ٢٠٩ ) كما عمل معاوية سدّاً في حزم بني عـوال يحبس فيه الماء شبيهاً بالبركة ( وفاء ج ٢ ص ٣٢١ ) .

وكانت لمروان أرض بذي خُشُب ( انساب ٥-١٣٠ ) وقد أقطعهـا السفاح الحسن بن الحسن ( وفاء ٢-٣٧٥ ) .

وكانت بإضم « أموال رغاب من أموال السلطان وغيره من أهل المدينة منها عين مروان واليسر والغرار والشبكة وتعرف بالشبيكة (بكري ١٣٣٣).

---

(١) الشرج الساقي يُحفر ليجري معه السيل كالقناة .

اما الوليد بن عبد الملك فقد اشترى الخرّار من بني عبد الله بن عــامر ( بكري ٤٩٢ ) . أما الوليد بن يزيد فقد صار اليه ثرمد وهو مال كان للزبير باعه عبد الله ابنه في دَين ابيه ( بكري ١٣٣٣ ) .

**أملاك المهاجرين :**

لقد كان عمرو بن العاص يمتلك الوَهَط بالطائف وهو كرم كان يعرش على الف الف خشبة ، شرى كل خشبة درهم ( البكري ص ١٣٨٤ عن سفيان بن عمرو بن دينار عن مولى لعمرو بن العاص (ياقوت ٤/٩٤٣ عن ابن الاعرابي ، ابن الفقيه ص ٢٢ القزويني ج ٢ ص ٦٥ المستبصر ص٢١ عن شعيب عن عمرو بن دينار ) .

« قال ابن الاعرابي حج سليمان بن عبد الملك فمر بالوهط فقـال : أُحب ان أنظر اليه فلما رآه قال : هذا أكرم مال وأحسنه ما رأيت لأحد مثله لولا أن هذه الحرة في وسطه ، فقيل له: ليست بحرة ولكنها مسطاح الزبيب ، وكان زبيبه جمع في وسطه فلما رآه من البعد ظنه حرة سوداء .

وقال ابن موسى : الوهط قرية بالطائف على ثلاثة أميال من وَجّ ، كانت لعمرو بن العاص ( ياقوت ج ٤ ص ٩٤٤ ) .

ويروي ابن المجاور : « الوهط قرية من أعمال الطائف بينهما ثلاثة أميال فكان كل فاكهة الطائف ومكة من ذلك الوهط ( المستبصرص ٢٢ ) .

ويروي الطبري أن معاوية كان قد ساوم عبد الله بن عمرو وأعطاه بـه مالاً كثيراً ، فأبى أن يبيعه ( طبري ٢ / ٢٧٩ ) . أنظر أيضاً البكري ١٣٨٤ )

ويروي ابن المجاور عن مصعب بن عبد الرحمن المخزومي عن شعيب عن عمرو بن دينار كتب عمرو بن العاص في وصيته وذلك في الوهط وجعلهـا صدقة لا تباع ولا توهب ولا تورث وهي للأكبر من أولادي ، والمتبع فيها عهدي وأمري فإن لم يقم بعهدي ولا أمري فليس له ولاء يعني بذلك الوهط ،

حق يرثه الله تعالى قائماً على أصوله ( المستبصر ص ٢١ ) .

ويروي أيضاً عن محمد بن فارس القرشي « ما بقي من الوهط من الشجر سوى شجرة توت وهي إلى الآن وقف عليهم ( المستبصر ص ٢٢ ) .

ويروي ابن حجر : وفي صحيح مسلم على طريق ثابت مولى عمر بن عبد العزيز قال لما كان بين عنبسة بن أبي سفيان وعبد الله بن عمرو بن العاص ما كان وتيسروا للقتال يعني في خلافة معاوية حيث أراد عنبسة أخذ شيء من مال عبد الله بن عمرو بالطائف ( الاصابة ج ١ ص ٤٠٧ [ ٢١٧٢ ] ومع عدم ذكر المصادر شيئاً عن هذا الخلاف إلا أننا نرجحانها تتصل بالوهط.

وكانت لعمرو بن العاص قرية السبع في فلسطين وبها بعض أهله ( البكري ٧١٧ ) عن أبي زكريا ويحي بن عثمان السهمي .

سعيد بن العاص :

اما سعيد بن العاص فقد احتفر بئراً وغرس النخل والبساتين وكان نخل بستانه أبكر نخل بالمدينة وكانت تسمى عرصة الماء ( ياقوت ج ٣ ص ٦٤١ وفاء ج ٢ ص ٢٠٠) وقد بيع قصره بثلاثمائة الف (نسب قريش ١٧٦ ، ويروى السمهودي ان القصر بيع بألف الف والنخل بألف الف ، والمزارع بألف الف (وفاء ٢- ٢٠٢)وقد اشتراه معاوية (اغاني ٢-١١)وكانت بنوامية يمنعون البناء بالعرصة ( وفاء ٢-١٩٩ ياقوت ٣-٦٤١) .

اما عبد الرحمن بن عوف فقد اعطاه الرسول من اراضي بني النضير سؤاله ( ابن سعد ١-٢|٤١) .

وكيدمة التي باعها لعثمان بن عفان بأربعين ألف دينار (ابن سعد ٣-١-٩٤- وفاء ٢-١٢١) .

ويروي الواقدي عن أبي بكر بن عبدالله بن أبي سبرة عن محمد بن حرملة عن عثمان بن الشريد ان عبدالرحمن بن عوف « كان يزرع بالجرف على عشرين

ناضحاً وكان يدخل قوت اهله من ذلك سنة» (ابن سعد ٣-١/٩٦) .

غير ان الواقدي لا يشير الى كيفية حصول عبد الرحمن بن عوف على هذه الأرض ولعلها هي الاقطاع الذي اعطاه اياه عمر والذي في نص آخر ان عبد الرحمن بن عوف قال: اشهد ان رسول الله اقطعني وعمر بن الخطاب ارض كذا (ابن سعد ٣-١/١٩/) (٨٩) .

## عبدالله بن عامر :

اما عبدالله بن عامر فكان لا يعالج أرضاً إلا ظهر له فيها الماء ، وله النِّباجُ الذى يقال له نباج[١] ابن عامر ، وله الجحفة ، وله بستان ابن عامر بنخلة ، على ليلة من مكة وله آثار في الأرض كثيرة ( نسب قريش ص١٤٨).

ويروي البكري كان الخرار لبني عبدالله بن عامر فاشتراه منهم الوليد بن عبد الملك (بكري ص٤٩٢) والخرار هو ُخمّ عند الجحفة .

## رجال آخرون :

يروي ابن شبة : ( وتصدق عبد الله بن عباس بماله بالصّهوة وهو موضع بين يَنْين وبَين حورة على ليلة من المدينة وتلك الصدقة بيد الخليفة ، يوكل بها ( وفاء ج ٢ ص ٣٣٧ - ١ ) .

أما العَرْجِيّ فكان لهمال بالطائف يسمى العرج[٢] (الاغاني ١٠-٣٨٦).

ويروي الاصبهاني عن اسحق عن عتبة بن ابراهيم اللهبي ان العرجي فيما بلغه باع اموالاً - عظاماً كانت له واطعم ثمنها في سبيل الله حتى نفد كله (اغاني ١ - ٣٨٦) .

وكان لمحمد بن هشام السهمي مال بتَبَالةَ فيها نخل ( الأزرقي ٢ - ١٢ ).

---

(١) نباج ابن عامر في نجد بطريق حجاج البصرة في أسفل القصيم ويعرف الآن باسم (الاسياح).

(٢) العَرْج - هذا هو اسفل وادي واجَ ، وهو قرية ذات بساتين فلعل للعرجي فيها بعض الأملاك وقد نسب إليها لكونه من سكانها .

وللمغيرة بن عبدالرحمن بن الحارث بن هشام بالصفراء وخيبر ( المدونة ١٠ ــ ٤٨ ). وكان لابن لرفاعة بن العجلان مال بملل ( وكيع اخبار القضاة ١ ــ ١٦٧ ) .

وكان لعبد الله بن القاسم مال بنعف النقيع ( وفاء ٢/٢٢٣) عن الزبير ولعبد الله العامري ارض أقطعه إياها مروان وما بين الميل الرابع من المدينة الى ضفيرة ارض المغيرة بن الأخنس التي بالعقيق وفاء (٢/٣٣٩) .

ولبعض ولد ابي لهب آبار مسدوس قرب كُراع الغميم وعسفان (بكري ٩٥٦) ولابراهيم بن هشام عين بملل ( نسب الزبير) ٤٨٦ [٨٢٨] .

ولسعد بن ابي وقاص ارض عند حرة السقيا (وفاء ٨٣٧) وقد اشترى بئر السقيا ببعيرين (التحفة اللطيفة ٢ــ٤٩ [١٢٠٢] .

اما ابو هريرة فكان ينزل الشجرة على العقيق قرب ذي الحُليفة قبل ان تكون مزوعات فمر به فأقطعه إياها مروان وظفرها له فتصدق بها ابو هريرة على ولده ( وفاء ٢ــ١٩٩ــ٢٠٩) .

وكان لعبيد الله بن موسى بئر سميحة بالمدينة وعليها نخل (وفاء ٢ــ٣٢٤) وللزهري "شغب" وبَدَا التي اقطعها اياه بنو مروان (بكري٨٠٢ ياقوت ٣ــ ٣٠٢ ، ٤ــ٤٦٨ ابن حوقل١ــ٤٠). كما كانت للزهري الادامى[1] وهي من أعراض المدينة غرسها نخلا (ياقوت ج ١ ص ١٥٥) .

ولسعيد بن سليمان المساحقي مال بناحية ضرية يقال له الجفر ( نسب قريش ٤٢٧ وكيع : أخبار القضاة ١ / ٢٤٠ تاريخ بغداد ) ولابن مطيع بئر ومزارع مسماة باسمه بين السُقيا والأبواء ( ابن سعد ج ٥ / ١٠٦ ) .

وكان الوليد بن عثمان ذا غلة في الحجاز يخرج اليها في زمان التمر بنفر من قومه يجنون له ويعاونونه فكان إذا حضر خروجهم دفع اليهم نفقات إلى أهليهم إلى رجعتهم ( أغاني ٢ ــ ٢٤٥ ) .

---

(١) الأدامى تسمى الآن دامة ، واد عظيم يقع بين ظبا والوجه يصب في البحر .

وكانت لعيسى بن موسى عندما ثار محمد النفس الزكية ، أموال بالمدينة يليها سعيد بن دينار ( طبري ٣ - ٢٠٦ ) ولرياح والي المدينة مـــال ببدر ( طبري ٣ - ١٧٥ ) .

ويقول ابن المولى : ان المنصور أعطاني رزمة ثياب وعشرة آلاف دينار فاشتريت بها ضياعاً تغل الف دينار أقوم في أدناها فأصيح بقيّمي ولا يسمعني وهو في أقصاها ( أغاني ٧ - ٢٩١ ) .

يروي عفان بن مسلم عن حماد بن سلمة عن ثابت وحميد عن انس بن مالك ان عبد الرحمن بن عوف قدم المدينة فآخى رسول الله بينه وبـــين سعد بن الربيع الانصاري فقال له سعد: يا أخي أنا أكثر أهل المدينة مالاً فانظر شطر مالي فخذه وتحتي امرأتان فانظر أيتهما أعجب اليك حتى أطلقها لك ( سعد ٣ - ١ / ٨٩ اصابة ٢ - ٢٥ ( ٣١٥٣ ) عن البخاري ) .

ويروي مالك عن اسحق بن عبيد الله بن أبي طلحة أنه سمـــع انس بن مالك يقول : كان أبو طلحة أكثر انصاريٍّ مالاً من نخـــل وكانت مستقبلة المسجد وكان رسول الله يدخلها ويشرب من ماء فيها طيب وقد تصدق أبو طلحه ببئر ماء ( بكري ٤١٣ ) .

ويذكر السمهودي أن « معجف أحد أودية المدينة .. ومعجف اسم حائط كان لعبد الله بن رواحة جعله لله ورسوله في غزوة مؤتة » ( وفاء ٢ / ٣٧٥ ) .

ويروي « روح بن عبادة عن ابن جريح عن يعلى عن عكرمة عــن ابن عباس أن سعد بن عبادة ماتت أمه وهو غائب عنها فأتى رسول الله ﷺ فقال : يا رسول الله ان امي توفيت وأنا غائب عنهـــا أفينفعها ان تصدقت عنها ؟ قـــال نعم ، قال : فإني اشهدك أن حائطي المخراف صدقة عنها » ( ابن سعد ج ٣ - ١ / ١٤٣ - ٤ ) .

ويروي « ابن وهب عن الحرث عن ابن نبهان عن أيوب عن ابن سيرين : ان أُبيّ بن كعب استسلف من عمر بن الخطاب عشرة آلاف درهم فأهدى له

هدية فردها اليه عمر فقال : إني قد علم أهـــل المدينة أني من أطيبهم ثمرة أفرأيت انما أهديت لك من أجل مالك علي ؟ إقبلها فلا حاجة لنا فيما منعك من طعامنا.فقبل الهدية » ( المدونة ٩ — ١٣٩ ) ..

ويروي « خالد بن مخلد البجلي عن عبد الله بن عمر عن نافع عن ابن عمر هلك أسيد بن الحضير وترك عليه أربعة آلاف درهم ديناً ، وكان ماله يغل كل عام الفاً فأرادوا بيعه ، فبلغ ذلك عمر بن الخطاب فبعث إلى غرمائه ، فقال: هل لكم أن تقبضوا كل عام الفاً فتستوفونه في أربع سنين ؟ قالوا نعم يا أمير المؤمنين ، فاخروا ذلك ، فكانوا يقبضون كل عام الفاً » سعد ٣ — ٢ — ١٣٥ ) . ( أنظر أيضاً ص ١٣٧ ملخصه ) .

ويروي عباد بن العوام عن حجاج بن ارطاة عن حبيب بن أبي ثابت : أن علياً باع أرضاً لبني أبي رافع بعشرة آلاف وكانوا ايتاماً فكان يزكيها ( ابن‌سلام ص ٤٥١ ).

ويروي يزيد عن يحي بن سعيد عن محمد بن يحي بن حبان ان أبا ميمون أخبره عن سهل بن أبي خيثمة أن مروان بعثه خارصاً للنخل ، فخرص مال سعد بن أبي سعد سبعمائة وسق ، وقال: لولا اني وجدت فيه أربعين عريشاً لخرصته تسعمائة وسق ولكني تركت لهم قدر ما يأكلون فـكانت تلك‌العرش مظال مساكن لهؤلاء الأكلة ( ابن‌سلام ص ٤٨٨ أنظر أيضاً ص ٤٨٦) .

ويروي البخاري عن محمد بن مقاتل عن عبـدالله عن يحيى بن سعيد عن حنظلة بن قيس الانصاري عن رافع بن خديـج قال كنا اكثر اهـــل المدينة مزدرعا ( بخاري ٤١ الحرث والمزارعة ) .

وكان الأشعث المزني[1] ينزل‌الأئمة ويلزمها فاستمشى ماشية كثيرة وافاد مالاً جزلا — حتى اتخذ اصولاً واستغنى (بكري ١٣٢٧–٨) .

وقد ذكرت المصادر عدداً من الملاكين‌واملاكهم دون ان تحدد زمن تملكهم

---

(١) في البكري : المدني — تصحيف .

ومصدرها فضلاً عن المشاكل الأخرى الناجمة من الزراعة ومن الملاكين .

فقد روى مالك عن عبدالله بن ابي بكر بن عمرو بن حزم أن جده باع حائطاً له يقال له الأفراق بأربعة آلاف درهم ، واستثنى منه بثماني مائة درهم تمراً — ( الموطأ ٢—١٥٢ و٣—٥٢) البكري ص ١٧٦) .

ويروي الشافعي عن سفيان عن عمرو بن دينـار عن اسماعيل الشيباني أو غيره انه قال : بعت ما في رؤس نخلي بمـائة وسق ان زاد فلهم وان نقص فعليهم ( الأم ٣—٤٦ مسند الشافعي ٢—١٥٠ ) .

وكان لابن جُرَيج أرض فيروي الشافعي عن سعيد بن سالم عنه انه قال: قلت لعطاء : أبيعك حائطي إلا خمسين فرقا أو كيلا ، فسمي ما كان. قال: لا ، قال: لا ، قـال ابن جريـج : فان قلت: هي من السواد سواد الرطبة ؟ قال: لا . يروى ايضاً انه قال لعطاء : أبيعك نخلي إلا عشر نخلات اختارهن قال : لا إلا ان تستثني أيتهن هي قبـل البيـع تقول : هـذه وهذه » ( ألأم ٣—٥٢) .

وكان القاسم بن محمد يبيع ثمر حائطه ويستثني منه « الموطا » ٢ ٥٢). كما كانت عمرة بنت عبد الرحمن ، وهي ام ابي الرجال محمد بن عبد الرحمن بن حارثة تبيع ثمارها وتستثني « الموطا » ج ٢ ص ٥٢ ) .

وكانت لسعيد بن محمد بن ابي زيد «أريضة سبخة تغل في السنة دينارين» ( ابن سعد ٥ — ٣٠٨ ) .

وكانت لسعد بن ابراهيم أرض بالقَبَلِيَّة ( وكيع : اخبار القضاة ١ — ١٦٥ ) . ويقول مالك... ان الضحاك بن خليفة ساق خليجاً له من العُرَيْض فأراد أن يمر به في أرض محمد بن مسلمة فأبى محمد « الموطا » ٢ — ١٢٢ ) .

ان المعلومات المتوفرة عن الاوضاع الاقتصادية في المدينة تدل على انها — كانت منطقة زراعية ، وكانت الملكية القانونية مثبتة ، وهي ملكيات فردية لا جماعية ، اذ لم نسمع بارض تمتلكها عشيرة ، والراجح ان كل فرد كان

يمتلك أرضاً صغيرة يزرعها بنفسه او بمعونــة عائلته ، غير ان هذا لا يعني عدم وجود ملكيات كبيرة يستخدم فيها العمال المأجورون . ومع ان هؤلاء الأنصار كانوا يعتمدون في حياتهم على منتجهم الزراعي الا انهم او بعضهم كانوا ينتجون اكثر مما يحتاجون ، ويبيعون الفائض ليحصلوا على مال يشترون به حاجاتهم الاخرى ، لهذا كانت في المدينة صلات وثيقة بين الرأسماليين والفلاحين .

ولا شك ان مجيء المهاجرين الى المدينـــة أدى الى حدوث تطورات وتبدلات : —

١ — فان استقرار عدد متزايـــد من الناس أدى الى زيادة الطلب على المنتجات وخاصة المواد الغذائية مما ادى الى نشاط السوق الداخلية بشكل أوسع مما كان في السابق ، ويجدر أن نتذكر ان عدداً من اليهـود أقصي من المدينة ولكن عددهم اقل ممن جاء اليها .

٢ — ظهور ملاكين جـــدد من المسلمين ، اما انهم حلوا محل اليهود الذين أقصوا أو انهم احيوا أراضي الموات ، وبذلك لم ينافسوا الانصار فياراضيهم غير انه أدى الى عدد غير قليل من النتائج : منها ازدياد الطلب على الأيدي العاملة لأن أكثر الملاكين الجدد لم تكن لهم خبرة في الزراعة ، وربما لم تكن لهم رغبة في العمل فيها أو ان أملاكهم كانت واسعة تتطلب استخدام أيدٍ عاملة ، وهذا سيؤدي الى ازدياد الطلب عليهـا ، وانقاذ المدينة من خطر البطالة الناجم عن كثرة المهاجرين .

وازدياد مساحة الأراضي الزراعية بعد وفاة الرسول ( ص ) رافقه مجيء عدد كبير من الأعاجم الأسرى ، فحدثت حلقة بينهما ولم يظهر اثرهمـا في الأزمات الاقتصادية .

٣ — ازدياد مساحات الأراضي المزروعة وادخال طرق فنية جديدة في الري والزراعة ، وكذلك ادخال زراعة محاصيل جديدة .

٤ — تناقص الأراضي الخالية بسبب تحولها الى أراضي بناء للدور والاسكان .

٥ ـ ظهور طبقة من الملاكين الجدد الذين لهم نشاطات في ميادين اقتصادية أخرى كامتلاك المواشي أو التجارة أو الصيرفة ، ولهم نشاط يمتد الى بلاد ومناطق واسعة .

٦ ـ ظهور حكومة مركزية قوية تتبعها أقاليم واسعة ، واتصال كثير من الملاكين الجدد بها مما يسهل أعمالهم وينفذ أغراضهم بينما بقي فريــــق آخر بعيدا عن الحكومة .

## املاك الأنصار :

لقد مَرَّ ذكر بعض الملاكين الانصار ، وذكر مواضع بعض هذه الاملاك ومنتجيها ومقدار حاصلها . وذكر بجانب ذلك حوائط وآبار وبساتين دون ذكر اصحابها إن هذه القوائم بما فيها من معلومات ايجابية وبما فيها من نقائض تساعد على تكوين صورة عن الأحوال الزراعية في المدينة .

ويلاحظ ان اغلب الملاكين ذكرت املاكهم عند الهجرة أي انها أملاك قديمة وليست حديثة ، وبذلك كانت لهم حقوق أصلية قديمة ، وليست هناك اشارات الى أن الاسلام مسها أو تدخل فيها .

٤ ـ ليست لدينا معلومات مفصلة عن كل ملاك ونشاطاته ، لنعلم فيما إذا كانت المعلومات المقدمة في المصادر عن ثروته جـاءت من الزراعة وحدها ام من مصادر اخرى .

كما اننالانعلم هل الثروات النقدية لبعض الملاكين الكبار جاءت من الزراعة وحدها أم من مصادر أخرى .

٥ ـ لم يكن لهم دور خاص في الحرب او الادارة وفي نفس الوقت لم يقاوموا الاسلام أو ـ يتذمروا منه .

٦ ـ واغلبية أملاك الانصار في داخل المدينة وليست لهم املاك خارجها كما ان املاكهم ليست واسعة ولا نعلم كم منها تحول الى أراضي بناء .

٧ ـ لقد كان اكثر الخلفاء الأمويين اهتماماً بأراضي المدينة هو معاوية اما الذين تلوه فلم يهتموا كثيراً بها ولعل اهتمام معاويـــة هو استمرار لتملك الراشدين أو استمرار ـ لنمو استثمار الأرض أو له اسباب سياسية وان كل هذه العوامل قد تبدلت خاصة منذ زمن يزيد .

واذا كان الوليد امتلك أرضاً في خُم شراء ، وعبد الملك في أقصى جنوب الحجاز فإن الباقين لم تذكر المصادر التي اطلعنا عليها أنهم اقتنوا أية أرض .

٨ ـ ذكرت المصادر بعض هذه الأراضي التي تقدم ذكرها منها اقطاع ومنها شراء ولم يذكر بعضها ولعلها احياء موات .

تشير المصادر الى أسعار بعض هذه الأملاك ، ففي المدينة كان ثمـــن بئر رومـــة ـ فيما يروي ابن زبالة -- مائة بكرة أو أربعين الف درهم ، وفيما يروي ابن شبّة : ثلاثين الف درهم ( وفاء ٢ : ١٣٧ ـ ٩ ) . ويروي ياقوت ان ثمنها خمسة وثلاثون ألف درهم ( ٤٣٢/١ ) أنظر أيضاً الاصابـة ٥٢١/١ [ ٢٧٧١ ] أما البكري فيذكر انها بعشرين الفاً (٦٨٥) .

وقد بيعت كيدمة بأربعين الف دينار ( وفاء ١٢١/٢ ) وبئر جشم بثلاثين الف دينار ( الموطأ ١٢١/٢ ، البكري ٣٨٣ وفاء ٢٥١/٢ ) .

وقد اشترى الزبير الغابة بمائة وسبعين الفاً ، وباعها ابنه بمليون وستمائة الف ( ابن سعد ٣ ـ ١ ٧٦ ، ياقوت ٣ ٧٦٧ ، وفاء ٣٥١/٢ ) .

واشترى علي ابن ابي طالب ينبع بثلاثين الفاً ( وفاء ٣٩٢/٢ ، البكري ٦٥٧ ) . وبيعت عين أبي نيزر بمائـتي الف دينار ( البكري ٦٥٧ ، ياقوت ١ ٧٥٧ ، وفاء ٣٤٨ ) وكانت أملاك عثمان تقدر بمائتي الف دينار ( ابن سعد ٣-١ ٥٣ ) .

وباع طلحة حائطاً له بستمائـة الف درهم ( المحبر ١٥١ ) . وكان ثمن أم العيال ثمانين الف دينار ( ابن حزم ١٣١ ، وفاء ٢٤٨/٢ ) . وبيـع الافراق بأربعة آلاف درهم ( الموطأ ٥٢/٢ ، الأم ٣ ٥٢٣ ، البكري ١٧٦ ) .

وكانت قيمة أرض بني رافع عشرة آلاف درهم ( الامـــوال ٤٥١ ) . واشترى عبد الملك بن يحيى عين ملح بعشرة آلاف دينار ( تاريـــخ بغداد ١٠–٤٠٨ ) . واشترى الحسين بن علي صاحب فخ حائطـاً من الحسين بن هذيل بأربعين ألف دينار ( مقاتل ٤٣٨ ) .

غير ان هذه الارقام يجب أن تدرس ضمن نطاق الأحوال الاقتصادية العامة المتطورة كما يتجلى هذا في الغابة وأملاك سعيد بن العاص ؛ وحتى اذا افترضنا دقتها فانها لا تمثل أحياناً قيمة الأرض الحقيقية ، وهذا يتجلى من قصة سعيد ابن العريض مع معاوية عندما أراد بيعه أرضاً بتيماء بستين الف دينـــار فاستغلاها معاوية ، فقال سعيد : اما لو كانت لأحد أصحابك لدفعت ستمائة ألف .

أما مساحة هذه الأرض فليست لدينا عنها سوى عيني الرُّبَض والنجفة اللتين كانتا تسقيان عشرين الف نخلة ، ومزارع ابن عوف الـــتي تسقى على عشرين ناضحاً ، وأما الباقي فلا نعلم مساحتها ، كما اننـــا لا نعرف بالضبط مقدار منتجها بالضبط ولا عدد العمال الذين كانوا يعملون فيها .

ثم أن مصادرنا تبين ملكيات هـذه الأراضي في القرن الأول فحسب ، وخاصة أوائل من أحياها وزرعها ، ولكنها لا تعطي تاريخاً متتابعاً كاملاً لأية قطعة وما حل فيها .

ويلاحظ أن كثيراً من ملاكيها كانوا مدينين مما اضطر عدداً منهم إلى أن تباع أملاكه . فالغابة بيعت لسد ديون صاحبها ، وعين يحنس كذلك ، ولا يمكن القول بان سبب البيع يرجع إلى الخسارة في الزراعة وحدها ، لأن كثيراً من هؤلاء الملاكين كانوا يمارسون أعمالاً أخرى كما أن ديونهم قد تكون لقيامهم بالمضاربة ، غير أن لدينا أخباراً متعددة عن أزمات اقتصادية حدثت في الحجاز أشدها تلك التي حدثت في عهد ولاية هشام ودامت حوالي سبع سنين وكان لها أثر عميق على السكان . ومن الملاحظ أن مصادرنا عن المدينة كتبت في القرن الثاني وهي تبحث عن أحوالها في أوائل القرن الأول وقلما

تشير إلى أحوال هذه الملكيات في زمنهم ولا نعلم فيما إذا كان هذا السكوت راجعاً إلى تعمد عدم الكتابة أم إلى أن هذه الملكيات كانت في زمنهم منحطة مهملة ، وان كان الأخير فهل هذا يرجع إلى عوامل فنية كتراكم الملح وقلة الماء ، أم بسبب تدهور الحياة الاقتصادية العامة في الحجاز بعد أن انتقل مركز الثقل إلى العراق ؟

إن كثيراً من هذه الملكيات لم تبق ثابتة بيد أصحابها بل كانت تباع بعد وفاة مالكها أو كانت تقسم على الورثة ، وفي هذه الحالة كانت الأرض تبقى بيد الأسرة، ولعل أهم الأسر التي احتفظت بأملاكها هم آل الزبير وآل علي، وإن كانت أملاكهم التي كانت مركزة بيد فرد في أوائل العهد الاسلامي، تجزأت فيما بعد حتى لم نعد نسمع عن ملاك يمتلك أراضي واسعة جداً كما كان الحال في أواسط القرن الأول .

وكان المركز الرئيسي للملاكين في المدينة دون غيرها غير أن فريقاً منهم كان يقيم في أملاكه في الريف يعملها بنفسه أو يشرف عليها .

غير أن هؤلاء الملاكين عموماً ظلوا مرتبطين بالحجاز فلم يغادروه ، وان كان نشاط بعضهم امتد إلى خارج الحجاز .

لقد كان بعض من الملاكين الأول من الخلفاء والإداريين غير أن أكبر الأسر المالكة وهم آل علي وآل الزبير قاموا ببعض ثورات فاشلة ضد الدولة، ومن عوامل فشلهم عدم تمكنهم توفير الغذاء لأهل الحجاز إبان قيامهم بالثورات ، غير أن أسرهم ظلت تقف موقف المعارضة السلمية من الدولة الأموية وحكامها ، ولكن يقابل هذا أن علاقتهم مع أهل البلاد كانت طيبة، وقد رويت أخبار عن سخاء هؤلاء الملاكين وتوزيعهم الهبات والعطايا .

بغداد : الدكتور صالح العلي